جمال الدين الأسد آبادي
المعروف بـ "الأفغاني"

وحقيقة علاقته
بالباطنية
والماسونية
والإنجليز
والاستشراق

الدكتور فتحي أسعد نعجة

جمال الدين الأسد آبادي
المعروف بـ "الأفغاني"

وحقيقة علاقته
بالباطنية
والماسونية
والانجليز
والاستشراق

الدكتور فتحي أسعد نعجة

الراشدون

جمال الدين الأسد آبادي

المعروف بـ "الأفغاني"

وحقيقة علاقته:
بالباطنية
والماسونية
والإنجليز
والاستشراق

الدكتور

فتحي أسعد نعجة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٥٧٦/ ١١/ ٢٠٠٥)

١،٩٢٨
نعجة،فتحي أسعد
جمال الدين آبادي المعروف الأفغاني
فتحي أسعد نعجة.- الزرقاء: المؤلف ٢٠٠٥
( ) ص
ر. أ (٢٥٧٦/١١/٢٠٠٥)
الواصفات: /الأدباء العرب// الأدب العرب// التراجم/

تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الراشـــدون
للدراسات والنشر والتوزيع
الأردن
ت: ٠٥٣٩٣٤٩١٨
٠٠٩٦٢٦٥٨١٦٥١٥
ص.ب: ٥٥٣٧
رمز بريدي: ١٣١١١

E-Mail:
Raico_edu@yahoo.com

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر:
٢٥٨٣/ ١١/ ٢٠٠٥

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال أو حالة من الحالات، إلا بإذن خطي مسبق

الافتتاح

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

"وَمَكَروا وَمَكَرَ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِيْنَ"

صدق الله العظيم

آل عمران، آية (٥٤)

لولا أنَّ الإسلامَ حقٌّ بِذاتـــه، مُؤيـــدٌ بِتَأْيِيـــد الله، مَحْفُوْظٌ بِحِفْظِه، لَمْ تَبْقَ مِنْهُ بَقِيَّةٌ تُـــصَارِعُ قُـــوَى الْبَغْيِ فِي الأَرْض، التي ما تَرَكَتْ طَرِيْقَـــاً مِـــنْ طُرُقِ الشَّر إلا سلكته، ولا سَبِيْلاً لإِطْفَاءِ نُوْرِهِ إِلا أَخَذَتْ بِـــه، ويمكـــرون ويمكـــر الله والله خيـــر الماكرين.

قال العماد الأصفهاني:

إِنِي رَأَيْتُ أَنَّه لا يَكْتُبُ إِنْسَانٌ كِتَابَاً فِيْ يَوْمِهِ

إِلاّ وَقَالَ فِي غَدِه: لَوْ غُيِّرَ هَذَا لَكَانَ أَحْسَن، وَلَــوْ

زِيْدَ هَذَا لَكَانَ يُسْتَحْسَن، وَلَوْ قُدمَ هَذَا لَكَانَ أَفْضَل،

وَلَـــو تُـــرِكَ هَـــذَا لَكَـــانَ أَجْمَـــل.

وهذا من أعظم العبر.

الإهـــــداء

إلى اللذين تعبا من أجلي ورحلا إلى

الدار الآخرة

إلى روحهما الطاهرتين

أهدي ثواب هذا العمل

فتحي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمـــة:

الحمد لله يحيي قلوب عباده بطاعته ويضيء عقولهم بنور كتابه، دعا الناس إلى الإيمان به، ونصب لهم آيات وحدانيته ودلائل ألوهيته، وأرشـــدهم إلى أنه واجب الوجود بما منحهم من نظر ثاقب، وفكر مستنير ناقد، والصلاة والسلام على رسوله الأمين بلغ الرسالة وأدى الأمانة.

وبعد:

منذ أن انبثق فجر الإسلام والصراع العنيف دائر على أشده بين أفكـــار الإسلام وأفكار الكفر، وبين المسلمين والكفار، وقد بدأ هذا الـــصراع فكريـــا بحتا حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولـــم يـــصحبه أي صـــراع مادي، واستمر كذلك إلى أن قامت الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، ووجد الجيش ووجدت القوة.

ومنذ ذلك الحين ضم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصراع الدموي إلى جانب الصراع الفكري، ونزلت آيات الجهاد، واستمر الصراع كذلك وسيظل على هذه الطريقة صراعا دمويا إلى جانب الصراع الفكري إلى قيام الساعة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هنا كان الكفر عدوا للإسلام وكان الكفار أعداء للمسلمين، ما وجـــد في الدنيا إسلام وكفر ومسلمون وكفار إلى يوم يبعثون، هذه حقيقـــة قطعيـــة دائمة فلا بد أن يظل إدراكها واضحا لدى المسلمين في كل لحظة من لحظات

الحياة، ولابد أن تتخذ مقياسا من مقاييس العلاقات بين الإسلام والكفر وبين المسلمين والكفار.

وقد استمر الصراع الفكري ثلاثة عشر عاما متتالية على أشد ما يكون من العنف والقوة، إلى أن انتصرت أفكار الإسلام على أفكار الكفر، وأظهر الله الإسلام فقامت في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، الدولة التي تحمي الديار وتذود عن بيضة الإسلام، وتنشر الهدى بين الناس عن طريق الجهاد، فبدأت الحروب بين الإسلام والكفر، وبين جيوش المسلمين وجيوش الكفار في معارك متلاحقة، وفي منتهى الغلظة والشدة، فكان النصر في هذه الحروب كلها للمسلمين.

إذن فقد كان في العالم منذ زمن قديم قوتان تصطرعان وتتنازعان السيادة، إحداهما في الشرق والأخرى في الغرب، تمثل ذلك في الصراع بين الفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والفرس والروم، ثم في الصراع بين المسلمين والصليبيين، ثم في الصراع بين العثمانيين والأوروبيين مدّا وجزراً، وكان آخر هذا الصراع الصلات بين الشرق ممثلا في أسيا وافريقية وبين الغرب ممثلا في أوروبا وأمريكا. وهي صلات متنوعة بعضها ثقافي، وبعضها اقتصادي، وبعضها سياسي.

لقد كان اتصال الإسلام بغيره من الحضارات والثقافات دائما اتصال الغالب في المغلوب، أو اتصال الند بالند، أما اتصاله بالغرب في هذه الفترة، فقد كان اتصال المغلوب بالغالب، والمغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه وبخلقه وسائر أحواله.

هذا وقد تتبعت ما طرأ على الفكر الإسلامي الحديث من تطـور نتيجـة اختلاطه بالفكر الغربي،وبالحضارة الغربية منذ بدء المرحلة الأولى على يـد **رفاعة الطهطاوي وخير الدين التونسي، وجمال الدين الأسد آبادي** المشهور بالأفغاني وتلميذه **محمد عبده**،إلى ما تلا ذلك من مراحـل وتطـورات بعـد الحرب العالمية.

وقد صورت هذا التطور من جانبيه:من جانبه الإسلامي الذي سعى إلـى اقتباس الصالح من الفكر الغربي المعاصر ليستعين به في نهضته التي يحاول فيها أن يلحق بركب الحضارة.

ومن جانبه الغربي: الذي يحاول أن يطبـع العـالم الإسـلامي بطابعـه الحضـاري، وأن يشجع على إيجاد **فكر إسلامي متطـور** يبـرر الأنمـاط الغربية، التماسا لمحو الطابع المميز للشخصية الإسلامية، ليستعين بذلك على إيجاد علائق مستقرة بينه وبين البلاد الإسلامية تخدم مصالحه.

في العالم الإسلامي المعاصر ألوان مـن الـصراع تـستحق الدراسـة والتأمـل، وإذا كان الصراع السياسي والأقتصادي هو أبرز ما يستلفت النظر في هذه الصراعات، وقد يبدو للنظرة المتعجلة أخطرها، فهـو عنـد التأمـل المتأني المتعمق يبدو أقل خطرا من الصراع الفكري والحضاري.ذلـك لأن الظروف السياسية والأقتصادية كثيرة التقلب سريعة التبدل، أما التغير الفكري والحضاري، فهو بطيء في سريانه وفي تفاعله، ولكنه في الوقت نفسه طويل المدى في تأثيره فالتغير السياسي والأقتصادي قد يحدث فجـأة بـين عـشية وضحاها بسبب انتصار حربي أو بسبب تغير أشخاص ذو فاعليـة سياسـية

كبيرة أو ثقل دَولي أو بسبب ضغوط إقتصادية أو حربية أو نفسية لهذا أو ذاك من الأسباب، وفي هذه أو تلك من الصور والأساليب الظاهرة أو الخفية. وبمقدار ما هو سريع في التغير والتقلب، فهو سريع أيضا في زوال آثاره، بحيث تبدو الأمور حين تزول أسباب التغير السياسي والاقتصادي وكأنه لم يكن.

أما الصراع الفكري والحضاري، أو التفاعل الفكري والحضاري، فهو لا يتم بهذه السرعة، ولا يكاد الذين يعيشونه ويعاصرونه يذكرون آثاره، فليس من السهل فصل الناس عما ألفوا من عادات وتقاليد، وما توارثوه من عقائد. وما أكثر ما عانى دعاة الإصلاح من ذلك في شعوبهم، بل ما أكثر ما عانى منه الأنبياء والمرسلون صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. والقرآن الكريم يصور ذلك في مواضع متفرقة بين ما ساقه من قصص الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أنزلَ اللهُ قالوا بَلْ نتَّبعُ ما ألفيْنا عليه أبآءَنا أولَوْ كان آباؤهم لا يَعقِلونَ شَيْئاً ولاَ يَهتدون)[1]. كل ذلك يبين بوضوح قوة سلطان العادات والتقاليد على الناس.

والصراع الفكري والحضاري ظاهرة كونية تعمل على مر الزمان واختلاف البيئات وهو بعض ما يتضمنه قوله تعالى: (ولولا دَفْعُ اللهِ النَاسَ بَعْضَهم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأرضُ)[1]

١- سورة البقرة:٢:آية ١٧٠

٢- سورة البقرة: ٢:آية ٢٥١

من خلال هذه السنّة الكونية تتقدم البشريـــة، فينقل بعضهم عن غيـــرهم أحسن ما عندهم مما استحدثوه، وتتخلص من عناصـــر الـــضعف وعوامـــل التخلف التي تتسرب إلى النفوس عبر الأجيال.

في مختتم القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر المـــيلادي كـــان عصر النهضة في أوروبا قد أتى ثماره في كل قطاعـــات الحيـــاة العلميـــة والتطبيقية والاقتصادية، وكان من آثار ذلك تعاظم نفوذ كثيـــر مـــن الـــدول الغربية وانتشارها في الآفاق، وتطلعها إلى بسط نفوذها عن طريـــق الغـــزو الحربي والتوسع الإستعماري، وبمقدار ما كانت الدولـــة آخـــذة فـــي التقـــدم والصعود، كانت الدولة العثمانية آخذة في التدهور والأنحلال، وكان اكتـــشاف قوى البخار والكهرباء والبترول واللاسلكي في القرن التاسع عـــشر ذا أثـــر كبير في توسيع المسافة بين قوة الغرب وضعف البلاد الإسلامية، وفي خلال هذا القرن احتل الهولنديون اندونيسيا، واحتلت انجلترا الهند، واحتلت روســـيا أواسط آسيا الإسلامية، واحتلت فرنسا شمال إفريقيا. وكانت الدولة العثمانيـــة مهددة بروسيا تطمع في الوصول إلى البحر الأبيض عن طريـــق الـــدردنيل والبوسفـــور، وكانت البلاد العربية موضع طمـــع الأســـتعمار الأنجليـــزي والفرنسي اللذيْن ينتظران إنحلال الدولة العثمانية وسقوطها وكانـــت إيـــران موزعة بين مطامع الإنجليز والروس.

وكانت مصر قد وقعت تحت وطأة الغزو الفرنسي الذي اضطر لمغادرتها بتأثير المنافسة الإستعمارية بين فرنسا وانجلترا أمام هذا الشعور بالخطر بدأ الإحساس بضرورة تعزيز الجيوش في البلاد الإسلامية.

وتطلع المسلمون إلى الأخذ بأساليب البلاد الغربية في تنظيم جيوشها وتسليحها. عند ذلك تطلع المسلمون إلى نقل العلوم الغربية والتي تفوق فيها الغرب لتحقيق هذا الهدف الحربي فأخذ المسلمون بأمرين:

١- أرسلت بعثات إلى الدول الأوروبية

٢- استقدم أساتذة وخبراء غربيون للتدريس في المعاهد العلمية على اختلاف أنواعها ودرجاتها للتخطيط للنهضة الحربية.

ففي تركيا أنشأ سليم الثالث مدارس للبحرية والحربية، واستقدم بعض المهندسين والعسكريين للأستعانة بهم في إنشاء الصناعات الحربية وتدريب فرق الجيش على النظم والأسلحة الجديدة.

وفي مصر كان محمد علي يسلك الطريق نفسه محاولاً بناء نهضة حربية عقب تنصيبه واليا على مصر ١٨٠٥م، وأخذ في إنشاء جيش حديث مدرب على النظام الأوروبي.

ولم تلبث تونس أن اتجهت هذه الوجهة نفسها حين أحست بحاجة إلى حماية نفسها من النفوذ الأجنبي المتزايد.

وفي إيران أدخلت الأسرة الحاكمة النظم الأوروبية العسكرية على جيشها.

كان اتصال الإسلام بالحضارة الغربية في هذه المرحلة محصورا في الجانب المادي الآلي، ولم يكن يستهدف أصحابه إلا وَصل المسلمين بأسباب القوة، لكي يكونوا أنداداً لأعدائهم على أن بعض حكام المسلمين كان يتجاوز بالإصلاح حدود الإحتياجات الحربية والتنظيم الصناعي والأقتصادي

والإداري، ويعملون على أن تصبح بلادهم جزءاً من العالم الغربي، كما فعل السلطان محمود الثاني.

ومع حرص بعض المصلحين من ولاة أمور المسلمين على أن يجري الإصلاح في حدود الخبرات الفنية التي تتصل بالجيش والصناعة والتجارة والزراعة والإقتصاد والتنظيم الإداري، فإنّ الأمور قد تجاوزت الحدود التي أرادوها وقدروها.

تعاون العائدون من أعضاء البعثات في مصر مع البعثة من أتباع "**سانت سيمون**" التي استقدمها محمد علي في العقد الرابع من القرن التاسع عشر فأقامت في مصر بضع سنوات، تنظم مرافق الدولة في مختلف النواحي، وكان تلاميذ "سانت سيمون" متأثرين بآرائه الثورية في تنظيم المجتمع على أساس علمي يحل فيه **العقل** محل **الدين**.

وقد كان تأثُّر أعضاء البعثات بما شاهدوه في المجتمع الأوروبي واضحا فيما كتبوه أثناء إقامتهم في أوروبا أو بعد عودتهم منها، وقد لمسنا ذلك من أراء **رفاعة الطهطاوي** وهو مصري، و**خير** الدين التونسي.

فللمرة الأولى في البيئة الإسلامية نجد كلاما عن الوطنية والوطن وحُب الوطن بالمعنى القومي الحديث في أوروبا.

وللمرة الأولى نجد اهتماما في التاريخ القديم، وللمرة الأولى نجد عند كل من الطهطاوي وخير الدين التونسي كلاما عن الحرية بوصفها الأساس في نهضة أي امة وتقدمها.

وللمرة الأولى نجد دعوة إلى وضع مدونة فقهية، وللمرة الأولى نرى عرضا للنظم الاقتصادية الغربية التي تقوم على المصارف والشركات، ثم نرى كلاما كثيرا عن المرأة.

ففي أحد الكتب التي ألفها طهطاوي تكلم فيها عن حُبِّ الوطن والتعلق به، وتكلم عن صورٍ مختلفة لمجد مصر في عصر الفراعنة.

هذا الاتجاه الذي ذكره طهطاوي في كتابه"مناهج الألباب"والذي وجه اهتمامه للمجتمع الإسلامي في عمومه ممثلا في الدولة العثمانية، هو أثر من آثار الحضارة الغربية وتصورها للوطن الجامع لمصالح ساكنيه على اختلاف أديانهم وأجناسهم واقتباس من المجتمع الفرنسي بعد الثورة الذي قضى على الرابطة الدينية، وأقام مقامها المصلحة الوطنية، وتأثره بفكرة الحرية في مجتمع الثورة الفرنسية، ليس بأقل من تأثره بفكرة الوطنية.

إن الطهطاوي لم يكن يفهم من الحرية معناها الواسع الذي عنته الثورة الفرنسية وهي ثورة **لا دينية** بل هي ثورة معادية للدين، **وأصبع الماسونية** وأثر الصهيونية العالمية فيها واضح مشهور.

إن الطهطاوي لم يستطع أن يدرك الأغوار البعيدة والجوانب المتعددة لكلمة "الحرية".

ولم يستطع أن يدرك أن نقل هذه الآراء إلى المجتمع الإسلامي يمكن أن ينتهي به إلى النتيجة نفسها:**نبذ الدين، وتسفيه علمائه**، والخروج على حدوده.

لم يدرك ذلك كله، ولم يلاحظ إلاّ **الجانب البرّاق** الذي يأخذ نظر المحروم من الحرّية، حين يراها تمارس في مختلف صورها وألوانها، وفي أوسع

حدودها، فكان كالجائع المحروم الذي بهرته مائدة حافلة بألوان الأطعمة، منها ما يلائمه وما لا يلائمه، ولكنه لم ينظر إليها إلا بعين حرمانه، ولم يرها إلا بصورة من النعيم الذي يتوق إليها ويشتهيه، وكان يشاركه في ذلك زميله خير الدين التونسي.

هذه الآثار الجديدة التي أثارها اتصال المسلمين بالحضارة الغربية،لم تكن تشقُّ طريقها بين المجتمع الإسلامي في سهولة ويسر.

هذه هي المرحلة الأولى من مراحل اتصال الإسلام بالحضارة الغربية، بدأت في أول أمرها بعيدة أن تمس الإسلام، تطلب القوة في تنظيم الجيوش وتسليحها، وتنظيم مصادر الثروة وتنميتها، ثم انتهت إلى الإشتباك مع الإسلام في تقدير قيم السلوك الفردي والجماعي.

وقد كانت دوافع المفكرين والحكام هي طلب القوة للمجتمع الإسلامي، وابتغاء الوسيلة إلى أسباب النهضة، التي تُخلّص المجتمع من ضعفه وجهله وفقره.

لم ينته القرن التاسع عشر إلا وقد عَظُم شأن الإستعمار الغربي واستفحل، وسقطت أكثر البلاد الإسلامية تحت سيطرته ونفوذه. وبدأت صلات الإسلام والمسلمين بالحضارة الغربية في طور جديد، أصبح فيه هذه الحضارة الغازية أكثر قوة وفاعلية، لأنها انتقلت مع الجاليات الأجنبية التي استقرت في بلاد المسلمين وأصبحت تحيا بين ظهرانيهم، وتعيش في قلب بلادهم، وتقدم نموذجا حيا لأنماطها الفكرية والاجتماعية، يُرى عن طريق المشاهدة والتقليد.

وفرضت الدول الغربية الغازيـــة لغاتهـــا وثقافتهـــا فـــي الـــبلاد التـــي احتلتها، تيسيرا على الغربي المستعمر في التعامل من ناحية، وتمهيدا لمحو طابع المستعمرات الشخصي وامتصاصها من ناحية أخرى، وأصبح التعلـــيم في داخل البلاد المستعمرة على تخطيط غربي رسمه الكافر المستعمر.

لم يكن هدف الاستعمار من نشر حضارته هـــو تمـــدين الـــبلاد التـــي استعمرها كما كان يتشدّق به وبزعمه، ولكنه كان يقصد بذلك إزالة الحواجز التي تقوم بينه وبين هذه الشعوب ذلك لأن الإسلام لم يكـــن مجموعـــة مـــن الطقوس الدينية وحسب كما هو الشأن في غيره من الأديان.

ولكنه كان ولا يزال حضارة كاملة يحملها الإسلام حيثما ذهب، لها لغتها التي لا يصح التعبد إلا بها ولا يصح التعبد بغيرها، ولها قيمها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات في ســـلوكهم وفـــي معاملاتهم،وفي نشاطهم الفكري، فلم يمض على ظهور الإسلام قـــرن حتـــى كانت النظم الإسلامية حضارة كاملة يحملها الإسلام معه حيثما ذهب، لـــيس فيها ثغرة ولا فجوة.

وقد كان هذا هو السبب في وحدة الحضارة الإسلامية، وفي قوة الرابطة التي تجمع أفرادها على هذه الحضارة.

لذلك كله كان شعور الكافر المستعمر الأوروبي بالغربة والحظر أقوى ما يكون حين يواجه هذه الأمة الإسلامية في مختلف أقطارها.

لذلك لجأ الكافر المستعمر لإيجاد وسيلة للتفاهم مع المسلمين وعمل على تنفيذها وإن كانت بطيئة، ولكنها أبقى آثاراً، وتتلخص هذه الوسيلة:

١- **بتطوير الإسلام نفسه.**

٢- **إعادة تفسيره**، بحيث يبدو متفقا مع الحضارة الغربية، أو قريباً منها وغير متعارض معها على الأقل.

بذلك وجد عامل جديد في صلات الإسلام بالحضارة الغربية، هو تدخل الغرب نفسه في توجيه هذه الصلات، والتخطيط لأساليبها ووسائلها.

وإلى جانب المناهج السابقة وجد منهج آخر في بلاد العرب بخاصة، لم يعمل عملا مباشرا في صلات الإسلام بالحضارة الغربية.

ولكنه ترك أثرا غير مباشر في توجيهها وهذا المنهج أو العنصر الجديد ممثل في **نصارى العرب**، ونصارى الشام منهم على وجه الخصوص.

التيارات التي ذكرتها سابقا كانت تجري في أرض المسلمين والعرب، وقبل أن أبدأ الحديث عنها أحب أنْ ألفت النظر إلى أمرين يجب أن يضعهما الباحث نَصْبَ عينيه، لكي يأمن الزلل ولكي لا يضل الطريق، ولكي لا يخدع عن حقائق الأمور.

أحد هذين الأمرين هو حاجتنا الشديدة إلى **إعادة النظر في تقويم الرجال**،لأن كثيرا ممن نعتبرهم دعائم النهضة الحديثة لم يصبحوا كذلك في أوهام الناس إلا بسبب الدعايات المغرضة، التي أرادت أن تضعهم في هذه المنزلة، لتحقق بذلك أغراضها في نشر مذاهبهم والتمكين لأرائهم ولأن كثيراً من الآراء المنحرفة التي لم تكن تستطيع أن تجد طريقها إلى الفكر الإسلامي والى مجتمعاته، قد أصبح قبولها ممكنا بنسبتها إلى هذه الزعامات والى هؤلاء الأئمة، الذين لا يتطرق إلى الناس شك في إخلاصهم وعلمهم، والواقع أن

كثيرا من هؤلاء الرجال أحيطوا بالأسباب التي تبني لهم مجدا بين الناس، ولم يكن الغرض من ذلك هو خدمتهم، ولكن الغرض منه كان ولا يزال هو خدمة المذاهب والآراء التي نادوا بها، والتي وافقت أهداف الكافر المستعمر ومصالحه.

فقد أصبح يكفي في ترويج أي مذهب فاسد في تأويل الإسلام-كما لاحظ المستشرق جب في كتابه-Modern Trends In Islam.

أن يقال أنه يوافق رأي فلان من هؤلاء الأعلام، ويكفي في التشهير بأي رأي سليم أن ينسب إلى ضيق الأفق، الذي لا يلائم ما اتصف به هذا أو ذلك من سعة الأفق والسماحة وصحة الفهم لروح الإسلام على ما تزعمه الدعايات، وليس مهما أن يكون ذلك عن حسن قصد منهم أو عن سوء قصد، وليس مهما أن يكون الكافر المستعمر هو الذي استخدمهم لذلك ووضع على ألسنتهم وأقلامهم هذه المذاهب والآراء.

أو أن تكون هذه الآراء قد نشأت بعيدة عن حضانة الإستعمار ورعايته، ثم رآها نافعة له فاستغلها وعمل على ترويجها.

وخطة الاستعمار والصهيونية العالمية في ذلك كانت تقوم – ولا تزال-على السيطرة على أجهزة النشر التي نسميها الإعلام، وإلقاء الأضواء من طريقها على كتّاب ومفكرين من نوع خاص تشيد بهم، وتسبغ الألقاب عليهم، ونشر أخبارهم وصورهم وذلك في الوقت الذي يهمل فيه الكتّاب والمفكرون الذين يصورون وجهة النظر المعارضة، أو تشوه آرائهم.

عندما ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد، ولكننا لا نريد أن يقوم في مجتمعنا **أصنام جديدة** معبودة لأناس يـزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ، وان أعمالهم كلها حسنات لا تقبـل القدح والنقد، حتى إن المخدوع بهم المتعصب لهم والمروج لآرائهـم ليهـيج ويموج إذا وصف أحد الناس إماما من أئمتهم بالخطأ في رأي من آراءه، في الوقت الذي لا يهيجون ولا يموجون حين يوصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يقبلون أن يوصف به زعمائهم المعصومون.

أما الأمر الآخر الذي أحب أن ألفت النظر إلى خطورتـه فهـو **تطـوير الإسلام** لكي يوافق الأمر الواقع في حياتنا العصرية، وقد بدأ هذا الاتجاه كما أسلفنا قبل قليل.

ورأينا صدى ذلك فيما كتبه الطهطاوي وخير الدين التونسي الذي دعا إلى الإجتهاد في أضيق الحدود، بإعادة النظر في الأحكام المترتبة على العـادات إذا تغيرت .

كانت الدعوة إلى الإجتهاد في هذا الطور مقتصدة غاية الإقتصاد تدعو إليه في أضيق الحدود، ولا تنكر التقليد بل هي تسلم به، وتسلم بـأن أهـل هـذا العصر ليسوا أكفاءً للاجتهاد. ومن كان قادرا منهم على الاجتهاد لا يطمح إلى أكثر من الاجتهاد في حدود مذهب من المذاهب الأربعة.

ثم إن الدعوة أصبحت من بَعْدُ على يد "محمد عبده"ومدرسـته ولاسـيما "محمد رشيد رضا"دعوة عامة تهاجم التقليد وتطالب بإعادة النظر في التشريع الإسلامي كله دون قيد. فانفتح الباب على مصراعيه للقادرين ولغير القادرين

ولأصحاب الورع ولأصحاب الأهواء، حتى ظهرت الفتاوى التي تبيح الإفطار لأدنى عذر. وظهرت الفتاوى التي تبيح المعاملات التي تقوم على الربح، وتقسم الربا إلى ربا ظاهر وهو ربا النسيئة، الذي يتضاعف فيه الدّيْن أضعافا مضاعفة، وربا خفي وهو ربا الفضل، ولا تحرم إلا ربا النّسيئة.

وظهرت الفتاوى التي تَحْظُر تعدد الزوجات وتَحْظُر الطلاق وتجيز تدخل القضاء فيها، وبذلك تحول الإجتهاد في آخر الأمر إلى تطوير الشريعة الإسلامية يهدف إلى مطابقة الحضارة الغربية.

وخطر التطوير على الإسلام يأتي من وجهين:

١- فهو إفساد للإسلام يُشوّش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزّيف على الصحيح ويثبّت الغريب الدّخيل ويؤكده.

أما الوجه الآخر لضرر التطوير - وهو الذي يعني أعداء الإسلام- فهو أن هذا التطوير ينتهي بالمسلمين إلى الفرقة التي لا اجتماع بعدها، لأن كل جماعة منهم سوف تذهب في التطوير مذهباً يخالف غيرها من الجماعات.

ومع توالي الأيام نجد-إسلاماً تركياً وإسلاماً هندياً وإسلاماً إيرانياً وإسلاماً عربياً، بل ربما وجدنا في داخل هذا الإسلام العربي ألواناً إقليمية تختلف باختلاف البلاد.

برز في مطلع هذه المرحلة الثانية التي بدأت مع الإستعمار، رجل غريب الأطوار يحيط سيرته وأهدافه كثير من الغموض، وقد ترك هذا الرجل الغريب أثراً عميقاً في توجيه الفكر الإسلامي والأحداث السياسية ولا يزال أثره باقياً و ميسمه واضحاً حتى الآن. ذلك هو **جمال الدين الأفغاني**، كما هو

مشهور عند الناس أو المتأفغن كما كان يسميه أبو الهدى الصيادي، أو الإيراني كما هي الحقيقة في واقع الأمر.

وإذا ذكر اسم الأفغاني الذي يمثل تمثيلاً قوياً ذلك التيار الثاني – التغريب، فلا بد أن يذكر معه خليفته في هذا الميدان وأبرز تلاميذه، الذي طبق مذهبه وعمل على تدعيمه ونشره، وهو محمد عبده الذي لا يكاد يذكره أتباعه المتعصبون له إلا مقروناً بلقب الإمام ".

ومنذ الربع الأخير من القرن التاسع عشر وطيلة القرن العشرين كثر الكلام عن مصلحين ومفكرين مسلمين طبقت شهرتهم الآفاق وقد شب الخلاف في هؤلاء المصلحين والمفكرين منذ نشأتهم مثل جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني.

ومن المؤسف أن كثيراً من أهل السنة لا يزالون يثقون به ويعدونه من كبار المجددين، ومن أشهر المصلحين في العصر الحديث، ولا يلقون بالاً لكل ما يثار حوله من شبهات لا يجوز السكوت عنها.

وتراهم يرددون: هذه أراجيف وأباطيل يرددها دعاة الجمود والتقليد الذين يقدمون شيوخهم ويحاربون كل جديد يتعارض مع ما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم ونحن ندعو الذين لا يزالون يحسنون الظن بجمال الدين أن يقرأوا الوثائق والمعلومات الجديدة التي تم العثور عليها ولا يجمدوا على مواقف وآراء سطحية لا تغني من الحق شيئاً، وليعلموا أنه ليس كل من يحارب الخرافيين ودعاة التقليد والجمود ثقة.

وعلى كل حال فإذا أصر بعض العلماء و الدعاة على موقفهم من الأسد آبادي فليس هذا مسوغاً لنا لنقلدهم في أخطائهم بعد أن تكشفت لنا أدلة وبراهين كشفت حقيقة زعيم الإصلاح وفضحت نواياه. لذلك سأعمد إلى الكتابة عن حياة وعلاقات ومغامرات أستاذ المدرسة الإصلاحية ومؤسسها الباطني الخطير بعنوان: **جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني وحقيقة علاقته بالباطنية والماسونية والإنجليز والإستشراق.**

منهج البحث

سلكت في هذا البحث منهجاً قائماً على مقدمه وأربعة فصول وخاتمه

الفصل الأول: جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني

الفصل الثاني: جمال الدين الأفغاني في مواقع الشيعة وعلاقته بالباطنية.

الفصل الثالث: حقيقة علاقة جمال الدين الأفغاني بالماسونية والإنجليز.

الفصل الرابع: حقيقة علاقة الأفغاني بالإستشراق ورأي المستشرقين فيه.

الخاتمة

الفصل الأول

الفصل الأول:

جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني

الاهتمام بالأفغاني يستند إلى اعتبارين، أولهما هو أن الصورة الشائعة المعروفة عنه بين الناس تخالف حقيقته. وهذه الصورة الشائعة تستمد وجودها وقوتها من الدعاية الدائبة التي لا تفتر والتي تسهر عليها قوى ومؤسسات قادرة ذات نفوذ، ولذلك الكشف عن حقيقته محتاجاً إلى مجهود كبير، وإلى مزيد من الدأب يقابل دأب الدعاية المبذولة في تدعيم مكانه.

وثاني هذين الاعتبارين هو أن جلاء حقيقة الرجل يتبعه جلاء حقيقة كثير من الأوهام التي تأصلت في نفوس الناس تبعاً لاستقرار شهرته فيها، فكشف الستر عنه هو في الوقت نفسه كشف للستر عن أباطيل كثيرة ترتبط به، وتستمد قوتها وبريقها الخداع من شهرته ومن ارتباطه بها.

يعد جمال الدين الأفغاني من أبرز رجالات العصر الحديث وأكثرهم شهرة، وقد اختلف الناس في أمره اختلافاً كبيراً جداً.

اختلفوا في موطنه وولادته: هل هو أفغاني كما زعم أم إيراني؟!

واختلفوا في مذهبه: هل هو شيعي رافضي أم سنّي حنفي؟!

واختلفوا في تصوراته ومعتقداته: هل هو داعية مصلح أم هو ملحد مفسد؟!

واختلفوا في أهدافه وغاياته: هل يهدف إلى وحدة الأمة الإسلامية أم يهدف إلى تكديس الفرقة والتجزئة بين بلدان العالم الإسلامي!

يقول الدكتور محمد محمد حسين، "إن أول ما يريب الباحث في أمر الأفغاني تعمية أصله ونسبه، فقد زعم أنه أفغاني سني ثم أثبت البحث الحديث بأدلة لا تقبل الشك أنه كان إيرانيا شيعياً، وزعم أنه شريف النسب حسيني الجد، وهو زعم لم يقم عليه دليل، والذي يكذب على الناس في بلده خليق أن لا يصدق في نسبه "[1].

وإن الأدلة التي تثبت أن جمال الدّين أيراني شيعي المذهب كثيرة وقاطعة أهمها ما يلي:

١. وجود عائلة جمال الدين في إيران و انعدام أي أثر لهذه العائلة في أفغانستان.

ومن البديهيات أن جمال الدّين لو كان أفغانياً كما هو معروف ومشهور لبقيت عائلته أو نفر منها -على الأقل- في أفغانستان، ولوجد من يدّعي القربى أو النسب والصلة بهذه العائلة ويتخذ من هذا الأمر وسيلة للتفاخر والشرف.

فهل توجد في أفغانستان بقية من عائلة جمال الدين؟! الواقع أنه لا يوجد أي أثر لهذه العائلة في أفغانستان وهذه حقيقة لا ينكرها الأفغان أنفسهم.

١-محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ،ص٦٧، ط١، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩م.

فأين توجد عائلة جمال الدّين إذن؟ إن الزائر لقرية أسد آباد القريبة من همدان بإيران يجد عائلة جمال الدين تسكن في "سيدان " وتعرف بالأسرة الجمالية. يقول الدكتور عبد النعيم محمد حسنين: "لقد تأكدت -أنا شخصياً - من هذا الأمر حينما زرت هذه القرية أسد آباد في خريف عام ١٩٥٠م.

وكان من أفراد عائلة جمال الدّين المشهورين حينذاك السيد "**هادي روح القدس** " **وميرزا لطف الله، وميرزا شريف خان، وعطا الله خان** وغيرهم. وقد اشتهروا جميعاً بلقب الجمالي نسبة إلى جمال الدين "[١]

ومما يتفق مع العقل والمنطق بعد هذا الدليل المادي الملموس أن يكون جمال الدين إيرانياً من أسد آباد، لا أفغانياً من أسعد آباد، وأن يكون بالتالي شيعياً لا سنياً. ويبقى سؤال هو: لماذا انتسب جمال الدين إلى أفغانستان وحرص هو نفسه على هذا الانتساب؟.

وللإجابة على هذا السؤال نقول: كانت إيران وَكْراً من أوكار التآمر ضد الخلافة الإسلامية وكان قادتها ولا يزالون يستعينون بأعداء الإسلام من الإنجليز والفرنسيين والأمريكان وغيرهم من أجل تفتيت وحدة المسلمين.

١-عبد النعيم محمد حسنين: جمال الدين الأسد آبادي، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط ١٩٧٣م.

وكان المسلمون السنّة ولا يزالون يرتابون من نوايا وأهداف كل عالم شيعي إيراني ولا يثقون به، وكان جمال الدين من الخبث والدّهاء بحيث لا يخفى عليه مثل هذه الأمور، وطالما أنه أعد نفسه أو **أعدّه أعداء الإسلام** ليلعب دوراً مشبوهاً في تاريخ أمتنا الحديث، إذن لابدّ أن يقدم نفسه على أنه عالم من علماء الأفغان وأنه حنفي المذهب وهذا الذي كان.

ولقد ردّد كثير من مراجع الشيعة وآبائهم المعاصرين ما قاله شيخهم "آغا بزرك" عن عقيدة الأفغاني ومذهبه ودوره الذي لعبه بين أهل السنة. وأضاف بعضهم: عندما حل الأفغاني في أرض مصر كان محمد عبده سلفياً سنياً في عقيدته ومنهجه، وبعد أن تتلمذ على يد جمال الدين أطلق لسانه في نقد منهج أهل السنة، وأخذ يدعو إلى تقارب السّنة مع الشيعة. وبالإضافة إلى ما ذكرت فإن في انتسابه إلى أفغانستان ييسر مهمته في أقطار العالم الإسلامي السنية وذلك لأن أفغانستان قطر سني، وانتسابه إليه يضفي عليه صفة العالم الديني السنّي.

٢. اسم والد جمال الدين "صفدر" يدل على أنه إيراني شيعي، لأن هذا الاسم مركب من كلمتين هما "صف" العربية و"در" الإيرانية التي معناها ممزق أو "مفرق" ومعنى "صفدر" ممزق الصفوف أي الشجاع البطل الذي يمزق صفوف الأعداء في ميدان القتال.

وقد أسند الإيرانيون هذه الصفة إلى الإمام علي بن أبي طالب ولقبوه بهذا اللقب نظراً لما كان يبديه في الحروب من بسالة عجيبة ضد المشركين. هذا ولا يوجد لأسم "صفدر" مسمى في أفغانستان، كما لا يوجد له مسمى في أي

بلد سنّي آخر، فهو لا يوجد إلا بين الشيعة مما يدل على أن جمال الدين كان إيرانيا شيعياً، ولم يكن أفغانياً سنياً"[1]

٣- نشأة جمال الدين وأسلوب تحصيله يرجحان أنه شيعي إيراني لا سنّي أفغاني، فقد ولد جمال الدين في عام ١٨٣٨م/١٢٥٤هـ وظل في المنزل حتى سن العاشرة يتعلم تحت إشراف والده، ثم حمله والده إلى قزوين في عام ١٨٤٩م/١٢٦٤هـ، حيث التحق بمدرستها وكان والده يعمل مدرساً بها، فمكث فيها عامين ثم رحل في عام ١٨٥١م/١٢٦٦هـ إلى طهران ليتتلمذ على "**آقا سيد صادق** " أكبر علماء الشيعة في طهران، ثم انتقل بعد ذلك إلى العراق ليدرس في النجف، وهو البلد الذي كان ولا يزال موطن العلم والعلماء في نظر الشيعة وقد أقام جمال الدين في النجف أربع سنوات تتلمذ في أثنائها على يد الشيخ "**مرتضى الأنصاري**" أحد علماء الشيعة المعروفين، وقد ألم بقسط وافر من العلوم الفلسفية والتوسع في دراسة المنطق وعلم الكلام إلى جانب دراسة الفقه وعلم الكلام. [1] وإن نشأة جمال الدين والطريقة التي اتبعها في دراسته والألوان التي تميزت بها ثقافته لتدل جميعها على أنه كان شيعياً إيرانيا، ولم يكن سنياً أفغانياً.

١- قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية/ دار الكتاب العربي.

٢- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين الأفغاني، ١٩٨٦/ ١٤٠٦هـ

٤. اعتراف أحد كبار المسؤولين من الأفغانيين بأن جمال الدين إيراني شيعي. ومن الأدلة القوية على أصل جمال الدين ومذهبه الديني أن الأمير "عنايت الله خان" عم " أمان الله خان " ملك الأفغان الأسبق اعترف بأن جمال الدين إيراني الأصل شيعي المذهب، وقد حرص هذا الأمير على النزول في قرية (أسد آباد) مسقط رأس جمال الدين ومكث فيها بعض الوقت، اجتمع أثناء إقامته في (أسد آباد) بنفر من أفراد الأسرة الجمالية، تحدث معهم، ثم زار قبور أجداد جمال الدين والدار التي ولد فيها، ولم يغادر هذا الأمير أسد آباد إلا بعد تأكده من أن جمال الدين إيراني الأصل شيعي المذهب.[١]

٥. اهتمام جمال الدين بإيران أكثر من اهتمامه بأي قطر إسلامي آخر، وهذا يرجح أنه كان إيرانياً شيعيّ المذهب.

ولا أدل على اهتمامه بوطنه إيران من تفكيره في التخلص من " ناصر الدين شاه" ملك إيران في ذلك الوقت، وقد كان اشتراكه في مؤامرة قتل هذا الملك سبباً في افتضاح أمره.[٢]

١- ميرزا لطف الله خان: حقيقة جمال الدين الأفغاني.

٢- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين الأفغاني.

وعندما كان جمال الدين مقيماً في تركيا، كان أكثر من يضمهم مجلسه في إسلامبول من الإيرانيين أمثال: ميرزا حسن خان خبير الملك الشيخ أحمد رومي، ميرزا أقاخان الكرماني وزين العابدين المراغي والسيد توفيق الهمداني. وهذا دليل واضح يثبت أصل جمال الدين، و يثبت أنه لم يكن أفغانياً .

وقد روى ابن أخته "لطف الله خان " عنه فقال: "وفد علينا الخال أسد آباد بعد عودته من الحج، وكان ينوي الذهاب إلى خراسان لزيارة الإمام علي الرضا **بمشهد**، فمكث عندنا ثلاثة أيام لتجديد العهد مع والده وأفراد أسرته، وطلب منه والده أن يبقى في **أسد آباد**، ويعيش معهم فيها فاعتذر جمال الدين لوالده قائلاً له: "إنني كصقر محلق يرى فضاء هذا العالم الفسيح لا يكفي ميداناً لطيرانه، وإني لأعجب من طلبكم إذاً كيف تريدون حبسي في هذا القفص الضيق الصغير"[1]

٦. تحدث جمال الدين الفارسية باللهجة الإيرانية دليل على أنه إيراني شيعي.

٧. اعتراف السلطان عبد الحميد طيب الله ثراه بأن جمال الدين إيراني شيعي حيث وصلت عريضة إلى السلطان من أهل أسد آباد بهمدان، تقرر أن جمال الدين إيراني من بلدتهم، وقد قدمت هذه العريضة.

١- لطف الله الجمالي: المقالات الجمالية ص١١ و ما بعدها ط١ ١٩٣٣

بواسطة السفارة الإيرانية في إسلامبول، وسأله السلطان عن ذلك فلم يستطع أن ينفي عن نفسه أنه إيراني شيعي[1].

٨. تمجيد جمال الدين للإيرانيين وإشارته بذكائهم، فقد زار إلى جانب وطنه إيران، العراق، الحجاز، أفغانستان، الهند، مصر تركيا، روسيا، فرنسا، النمسا، انجلترا، وتعرف على شعوب هذه البلاد، وكان في كل بلد زاره أصدقاء وتلاميذ ومريدون، ولكنه برغم هذا كله فلم يسرف إلا في ذكر الإيرانيين ولم يمجد إلا ذكاء بني وطنه.[2]

من هذا كله نرى أن جمال كان إيرانياً من أسد آباد بالقرب من همدان وكان شيعياً، ولم يكن أفغانياً من أسعد آباد من أعمال كابل في أفغانستان.

١- مذكرات السلطان عبد الحميد.

٢- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين الأفغاني.

الفصل الثاني

الفصل الثاني:

جمال الدين الأفغاني في مواقع الشيعة وحقيقة علاقته بالباطنية:

ولد جمال الدين الأفغاني في شعبان ١٢٥٤هـ /١٨٣٨ م في أسد آباد وهي قرية كبيرة بالقرب من همدان في شمال غرب إيران وكانت الفارسية هي لغة الأم، وكل ما عداها مكتسب، وكان يتكلم التركية بطلاقة ولكن بلهجة أذربيجان. كذلك كان يتكلم العربية بطلاقة ولكن بلكنة أجنبية، وكان السيد "صفدر" والد جمال الدين مزارعاً بسيطاً في أسد آباد، وينتمي إلى أسرة عاشت في أسد آباد قروناً طويلة، وكان مهتماً بعلوم الدّين يخالط علماء الدّين البارزين في بيئته، كما كان والده على صلة بالشيخ" مرتضى الأنصاري"، إمام الشيعة الأثنا عشرية الذي كان يعيش في العراق[1]. كما كان والد جمال الدّين على صلة بالشيخ "أحمد الأحسائي" مؤسس مذهب الشيخية في مذهب الشيعة.

١- الدكتور عبد النعيم حسنين: جمال الأسد آبادي، مصطفى عبد الرازق: محمد عبده ص٥٢ يؤكد مصطفى عبد الرازق أن جمال الدين من أسد آباد ووالده "صفدر " قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية.

ومن هنا نعرف أن جمال الدين تعلم العربية والقرآن الكريم في قريته وفي كنف أبيه حتى بلغ العاشرة. ويبدو أن جمال الدين كان منذ طفولته واسع الأحلام، يحلم بأسفار بعيدة إلى الهند ومصر، وتركيا وأفغانستان، وعلى كل فهناك خطاب في سجلات وزارة الخارجية البريطانية من الشيخ " هادي " ابن عم جمال الدين يقول فيه لجمال الدين الشاب أن أمه لا تزال تنتظر منه أن يحقق وعده لها و هو صغير أن يجعلها حاكمة على خراسان، فنحن بأزاء طفل غير عادي يتصور نفسه ملك الدنيا وربما المهدي المنتظر. وفي سن العاشرة رحل به أبوه إلى قزوين، وألحقه بمدرسة دينية ليتم فيها تعليمه، فمكث عامين في تلك المدرسة، ثم عاد به. بعد ذلك رافقه والده إلى طهران، وفي طهران أقام جمال الدين مع أبيه في دار عمدة " أسد آباد " السابق، وتردد على مسجد كان يدرس به فقيه شهير اسمه " آقا صادق الطباطبائي". ويبدو أنه أظهر من النجابة، ما جعل السيد " الطباطبائي" يلبسه العمامة وهو بعد في الثانية عشرة من عمره، و سرعان ما رحل به أبوه إلى مراكز الشيعة المقدسة في النجف في العراق [1]

وفي بعض النصوص أن"أبا تراب"، خدم الأفغاني الذي تبعه في كل مكان كان أصلاً خادماً عند السيد "الطباطبائي".

١-عبد النعيم حسنين: جمال الدين الأسد آبادي، قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، مجلة التضامن العدد:٢ تاريخ ١٩٨٣/٤/٢٣م.

وفي رواية "صفة الله"أن سبب الرحلة من " أسد آباد " إلى " قـزوين " أن فتنة ما نشبت بين "السادة، مدعي الانتساب إلى آل البيت".

وفي النجف الأشرف وغيرها من مراكز الشيعة في العراق أقام الأفغـاني أربع سنوات، وقيل أنه درس هناك على فقيه عـصره الـشيخ " مرتـضى الأنصاري"، أما أبوه فعاد أدراجه إلى أسد آباد. وبعد هذه الـسنوات الأربـع تجددت متاعب الفتى جمال الدين حيث دبرت مؤامرة لقتله لم ينقذه منهـا إلا معرفة الشيخ "مرتضى الأنصاري"، والسبب في تدبير مؤامرة لاغتياله أنـه كان يجنح إلى الفلسفة أكثر مما يجنح إلى الدين. وفي شهادة الحاج الـسياح عن "حيدر الأصبهاني" أنه قد شاع في النجف أن الفتى جمـال الـدين هـو **المهدي المنتظر** الذي يترقب الشيعة ظهوره، والأرجح أن هـذه الأسـطورة ذاتها كان مصدر الفتنة التي نشبت من حول هذا الطفل من قبل في أسد آباد والجأت أباه أن يغربه، على غير علم من أمه إلى قزوين وهـو بعـد فـي العاشرة. وبعد فأي طفل حالم يعد أمه بأن يجعلها والية أو ملكة على خراسان إلا إذا كان يوحى إليه بأنه المهدي المنتظر[1].

على كل حال فنحن نعرف من أقوال "أبي الحسن بن لطف الله " أن جمال الدين الأفغاني كان أثناء دراسته في النجف لا يهتم بالمحافظة علـى شـعائر الدين بل كان يفطر في رمضان وأبو الحسن بن لطف الله " يعـزو متاعـب الأفغاني الشاب مع علماء الدين في النجف إلى هذا النوع من السلوك.

١- مجلة التضامن: العدد:٢ تاريخ ١٩٨٣/٤/٢٣م.

ويقول أنه اختار الهند ملجأ لاعتقاده لأنها أكثر تحرراً من العراق في الدين وشعائره[1].

سبق أن تحدثنا بأن جمال الدين تعرض لمؤامرة في اغتياله في النجف لم ينقذه منها إلا الشيخ مرتضى الأنصاري "إذ أرسل الشبح" مرتضى" شيخاً جليلاً مع جمال الدين ليوصله إلى "البراهمة" من مريديه في الهند ١٢٧٠هـ فمن هو هذا الشيخ "مرتضى" الذي تعهد بالإنفاق على جمال الدين أربع سنوات، ثم أيده في فكره الذي رمى به **بالمروق** والردة من بني ملته الشيعة وليس السنة ونجاه من مؤامرة القتل؟ ومن هم أتباعه ومريدوه من براهمة الهند الذين تلقوا الفتى في أول سن بلوغه ليرووه بلبان ثقافتهم التي لا تمت إلى الإسلام بسبب؟ وقد أرسل مع الغلام حرساً عليه، شيخاً كبيراً لحراسته والاطمئنان عليه؟ !!

وقبلها عين له تابعاً وهو "أبو تراب" والذي لا يزال لغزاً في الكتابات العربية، وعندما وصل جمال الدين بعد طرده من النجف إلى ميناء "بوشهر " مع حارسه وخادمه، بقي مدة التقى فيها بكبير علمائهم وهو **اليهودي: إبراهيم جان المعطر**. الذي كان يلقب بـ"يوحنا زمانه "

١- مجلة التضامن: العدد:٢ تاريخ ١٩٨٣/٤/٢٣ م.

وهو **عالم لا ديني**، ثم وصل الهند ومكث فيها سنه وبضعه شهور. **وقد تلقى** الفلسفة الغربية بالإضافة إلى الفلسفة القديمة مما قوى الإلحاد في نفسه.

روى سليم العنحوري تلميذ جمال الدين عن إقامة جمال الدين في الهند لأول مرة حيث قال: "وفر ثمّة إلى الهند، وهناك أخذ عن علماء البراهمة والإسلام أجل العلوم الشرقية والتاريخ وتبحر في لغة السنسكرت، أم لغات الشرق، وبرز في علم الأديان حتى **أفضى به ذلك إلى الإلحاد و القول بقدمية العالم**" [1]

وقد نشرت هذه المعلومات في حياة السيد جمال الدين ولم يعترض عليها على الإطلاق.

مذهب الشيخية:

درس جمال الدين الأفغاني **المذهب الشيخي والمذهب البهائي** وكلاهما فرق نشأت نتيجة تفلسف شيعة إيران، وقد درس هذين المذهبين دراسة جادة وتأثر بهما.

٢- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية ص ١٩ مخطوط،

٣- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص٧١،

٤- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ص٤٣.

أما الشيخية فهي مذهب من الإثني عشرية في إيران في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وانتشر في العراق وفي إيران وكان مؤسسه الشيخ" أحمد الأحسائي" ١٧٥٣م ١٨٢٦م، الذي أعلن بعض فقهاء الشيعة الإثني عشرية **زندقته** وخروجه على أصول الدين، وقد كتب رسالة نسخها الأفغاني بخط يده فيما يبدو في الستينات من القرن التاسع عشر، أي بعد أن غادر النجف كذلك نسخ الأفغاني رسالة شيخية أخرى في الفترة نفسها عنوانها "مرآة العارفين "وضعها خليفة الأحسائي" الحاج محمد كريم خان سنة ١٨٠٩ -١٨٧٠ " وهو الذي خلف الأحسائي في قيادة الجماعة الشيخية.

والشيخية كانت تعلم الناس ما تسميه القطب الرابع في الدين وهو أن هناك دائماً في الدنيا شيعياً كامل الصفات لا يخطئ، يمكن أن يهدي الناس في طريق الحق حتى يظهر الأمام الثاني عشر أو المهدي المنتظر وأن لكل عصر مرشده الأكبر الذي يعلو قدره قدر المجتهدين، وقد عدت هذه الدعوى **زندقة ثورية** داخل مذهب الشيعة لأنها تفتح الباب في كل عصر لزعيم روحي خطير، وهذا شيء مخيف لأي مواطن عادي، لأن من لا يخطئ لا يناقش ولا يحاسب" [١]

١- مجلة التضامن: ٢٤-١٩٨٣/٤/٢٣

البابية والبهائية:

درس الأفغاني البابية وهو الذي شرحها للبستاني، ومؤرخو الأفغاني يرجحون أنه درس البابية أثناء إقامته في النجف. أما البابية فقد بدأ رسمياً عام١٨٨٤م، حين أعلن رجل من شيراز اسمه "علي محمد" أنه "الباب" المؤدي إلى الأمام الثاني عشر، أي إلى المهدي المنتظر، ثم اتسعت أحلامه أو أوهامه فيما بعد فأعلن أنه هو المهدي المنتظر، **وجاء لمريديه بتعاليم دينية نسخت تعاليم القرآن**، وانتشرت تعاليمه إلى حدّ كبير في إيران. وكانت تعاليم الباب تقوم على المساواة بين البشر وبين الطبقات وبين المواطنين وبين الجنسين وكانت تناهض الزهد والدروشة وتحض على النشاط الاقتصادي.

وقد كان ذلك في فترة دراسة الأفغاني في النجف، فلا عجب أن يكون قد درس المذهب البابي أثناء إقامته في العراق، وقد طرد أكثر البابيين من العراق في أوائل الستينات.

وفي الستينات أيضاً ظهر إمام جديد أو نبي جديد هو" بهاء الله " مؤسس البهائية واعترف بالباب ولكنه أقام مذهبه على دعوة جديدة فامتصت البهائية أكثر أتباع البابية، فلم يبق على البابية الأصلية إلا جماعة قليلة العدد في إيران يسمون " بالأزليين " ولم تكن هذه الحركات مجرد حركات دينية وأنما كانت أيضاً حركات سياسية واجتماعية ثورية، كثر شغبها وفتنها حتى لقد حاولت جماعة من البابيين اغتيال شاه إيران ناصر الدين ١٨٥٢م، فترتب على ذلك طرد الفرقة البابية كلها من إيران، ومما ذكره

"لطف الله" و "صفة الله" أن الأفغاني كان لا يزال في إيران أيام هذه المؤامرة وأنه لم ينتقل إلى النجف إلا في ١٨٥٢م. وقد تأثر الأفغاني بهذه الدعوات **الهدامة المخالفة للدين**"[١]

مساعدة زنديق:

التقى جمال الدين بالمفكر الإيراني المطارد "محمد باقر" في" بوشهر" أثناء احتلال الانجليز لهذه المدينة وقد كان ذلك بين ديسمبر ١٨٥٦- ومارس ١٨٥٧. وفي رواية " محمد باقر"الذي فرّ إلى انجلترا"أن الأفغاني الشاب أنقذه في بوشهر من الموت. فقد جاء من بوشهر مطروداً من شيراز بتهمة **الزندقة والتجديف ضد الإسلام**، وفي بوشهر تجمهر عليه الغاضبون من تجديفه وزندقته وأرادوا الفتك به، ولكن جمال الدين، تدخل بوصفه " سيداً " من آل البيت وطلب تسليمه إليه لتأديبه بل ولإعدامه، فسلموه ولكنه بدلاً من أن يؤدبه ساعده على الهرب"[٢].

١- بطرس البستاني: دائرة المعارف – بيروت ١٨٨١م

٢- مجلة التضامن: ع٢ تاريخ ١٩٨٢/٤/٢٣ ص٧٠ -٧١

سبحان الله الزنديق لا ينقذه إلا زنديق مثله، والأرواح جنود مجندة ما تشابه منها ائتلف وما تناقض منها اختلف.

المنبوذ:

هناك مقطوعة أدبية نشرها أفشار والمهدوي في الوثائق كتبها جمال الدين الأفغاني عن نفسه عام ١٨٦٨م، وهو في كابل عاصمة أفغانستان بالنثر الفارسي يقول فيها: "الإنجليز يعتقدون أني روسي والمسلمون يظنون أني مجوسي، والسنة يحسبون أني رافضي، والشيعة يخالون أني نصيبي " أي من أعداء علي، وبعض أصحاب الرفاق الأربعة، يقصد الأئمة الأربعة، يعتقدون أني وهابي، وبعض أتباع الأئمة (الإثني عشر) يتوهمون أني بابي، المؤمنون بالله يظنون أني مادي والأتقياء يتصورون أني خاطئ مجرد من التقوى، العلماء يعدونني جهولا والمؤمنون يظنون أني كافر.

ولكن لا الكافر يدعوني إليه ولا المسلم يعدني من ذويه، منفي أنا من المسجد منبوذ من المعبد"[١].

أما الباحث " كدوري " فإنه يقول: "إن الأفغاني لم يكن متديناً وإنه لم يلفت في حياته اهتمام الكثيرين من المفكرين والساسة بمقدار ما لفت -على نحو متقطع- اهتمام دوائر الأمن والاستخبارات التي كان

١- مجلة التضامن:٢٤ص ٧١تاريخ ٢٣ /١٩٨٣/٤

شغلها الشاغل ملاحظة نشاط دعاة الانقلابات وأصحاب النشاط" الهدام " كما رأى أنه كان عميلاً "لرياض باشا" رئيس الوزراء المصري وتابعاً له، وأن **الصلة بينه وبين تلميذه " أشبه بالصلة بين الشيخ والمريد في طريقة باطنية سرية"** ودليل على عدم تدين الأفغاني بأنه كان يؤمن بأن الأديان الثلاثة متشابهة لا ينسخ أحدها الآخر وأن الحياة متعة، وكان يجمع من حوله شباباً متطرفاً غير متدين منه: اليهودي يعقوب صنوع والمسلم محمد عبده، والنصراني أديب إسحاق وكان لا يصلي ولا يصوم، ويرى أن الإسلام ضد العلم في رده على الفيلسوف رينان"[1]

ومما يريب الباحث في أمر جمال الدين وأهدافه أن أكثر نشاطه كان سرياً، فقد كان أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث في مصر، وكان حيثما حل يؤسس الجمعيات السرية وينشرها، فأسس الحزب الوطني الحر في مصر أثناء إقامته بها، وكان حزباً سرياً، لم يمض على تأسيسه عام واحد حتى أصبح أعضاؤه ٢٠١٨٠ عضواً، وأصبح له رصيد ضخم في المصارف"[2].

١- المجلة:ع ٢٢٦ تاريخ ١٠-١٦ رمضان ١٩٨٤م ،١٤٠٤هـ

٢- قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية.

وأنشأ جمعية "مصر الفتاة " السرية، وأنشأ صحيفة تنطق باسمها هي صحيفة "مصر الفتاه" ولم يكن فيها مصري واحد كما روى تلميذه "محمد عبده"[١].

وكان أغلب أعضائها من شباب اليهود [٢] وكان له علاقة وطيدة مع الملحد "ميرزا محمد باقر "(٣) والذي مات على صدره هو اليوناني المتمصر "جورج كوتش " أحد أمناء أسراره و أحد مترجمي حياته [٤].

وأنشأ أثناء إقامته في الهند جمعية"العروة الوثقى"السرية التي امتد نشاطها إلى الشام وإلى مصر وإلى السودان وإلى تونس وكان من أعضائها عبد القادر الجزائري ومن اختار من أنجاله ورجاله، ومنهم: محمد أحمد المهدي السوداني الذي تتلمذ على الأفغاني في مصر أربع سنوات، ويرى البعض أن مقالات العروة الوثقى لا يوجد فيها أي بحث يؤيد مزاعم القائلين بأن جمال الدين كان يدعو إلى توحيد البلاد الإسلامية تحت راية دولة واحدة، ولم تكن تستهدف العروة الوثقى أن يكون للمسلمين كلهم دولة واحدة، وأن يجمع كلمتهم خليفة واحد، وإنما كان يستهدف من دعوة العروة الوثقى تقوية عناصر كل دولة من دول العالم الإسلامي حتى تلحق الدول الأوروبية في العزة والمنعة"[٥].

١- محمد عبده: أسباب الحوادث العرابية.
٢- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام.
٣- هاني المرعشلي: جمال الدين الأفغاني، التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، ص٦٤
٤- نفس المراجع.
٥-هاني عبد الوهاب المرعشلي: التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر جمال الدين الأفغاني ص٦٤-ص٦٥.

وقد حفظ الجزء الثاني من"تاريخ الأستاذ الأمام" لمحمد رشيد رضا عـدداً من الرسائل التي تداولها محمد عبده مع أعـضاء هـذه الجمعيـة "العـروة الوثقى"، وهي مليئة بالإشارات والرموز، وبعض هذه الإشارات يدل على أن محمد عبده قد دخل سراً مصر، استعداداً لدخول السودان والاتصال بالمهدي، ومر أثناء هذه الجولة بتونس والشام، حيث كان يعمل على أحكـام العـروة الوثقى وتمكين عقودها حسب تعبيره"[1].

وكانت صحيفة العروة الوثقى التي أنشأها جمال الدين مع تلميذه"محمـد عبده في باريس" هي الصحيفة الناطقة باسم هذه الجمعيات السرية الماسونية. ثم أنشأ محفلاً ماسونياً تابعاً للشرق الفرنسي، ضم إليـه عـدداً كبيـراً مـن أصحاب النفوذ في مصر بمساعدة رياض باشا رئيس وزراء مصر وهو الذي استقدمه إلى مصر، وتولى رعايته فيها، وأجرى عليه راتباً شهرياً، وأعد له مسكناً في خان الخليلي ويقال أنه كان في حارة اليهود[2].

١-محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ج١ : ٢٨٣ /٣٨٠ /ج٢: ٥٥٣-٥٥٨ .

٢-محمد محمد حسين: الإسلام و الحضارة الغربية ص ٦٦، محمود قاسم: جمال الدين الأفغاني ص ٢٣.

ويتصل بهذا النشاط السري الذي لازمه في كل مكان تهييجه على الثورات، وتشجيعه على تأسيس الصحف التي تخدم أغراضه وتنشر آراؤه، وتشيد بذكره فهو الذي أنشأ صحيفة مصر، وعهد بأدائها إلى **أديب اسحاق** وكان قد قدم إلى الإسكندرية للاشتراك في التمثيل مع **سليم نقاش**، ثم أسس صحيفة التجارة بالإسكندرية، وعهد بإدارتها إلى **أديب اسحاق وسليم نقاش**، فكانا لا يزالان يشيدان بذكره في مثل قولهما: **مهبط أسرار الحكمه، اسطرلاب فلك العلوم**، واسطقس هَيولى الفلسفة"[1]، وقد طلب إلى تلميذه محمد عبده وإبراهيم اللقاني أن يساهما في تحرير صحيفة "التجارة"، وكان هو نفسه يشترك ببعض المقالات، يوقعها باسم مستعار هو " مُظْهِر بن وضاح"[2]. إن جمال الدين الأفغاني هو الذي نشر التنظيمات السرية في مصر وكثيراً من الذين يشتركون في التنظيمات السرية يجهلون دائماً حقيقة أهدافها، ولا يعرفون إلا ما يريد رؤوس التنظيم السري أن يُعرف بين الناس، والدارس لتاريخ الدعوات السرية في الإسلام ولتاريخ الباطنية والإسماعيلية على وجه الخصوص يرى الشاهد على ذلك في بدئهم بالدعوة

١-محمد رشيد رضا: تاريخ الإمام ج١: ٤٥

٢-محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية.

إلى إعلاء كلمة الله وإنصاف المحرومين، وانتهائهم آخر الأمر إلى عقيدة فلسفية. تنكر الأديان وتخوض في دماء المسلمين.

وقد غمس جمال الدين يده فعلاً في الدم الحرام، و كان مستعداً دائماً لأن يغمس يده فيه، فهو مسؤول عن اغتيال ناصر الدين شاه إيران" كان يؤلب عليه في كل مكان منذ طرده من إيران ١٨٩١م. وأخرجه من الضريح المقدس عند الشيعة الذي كان قد عاذ به ولجأ إليه، فاتصل برجل هارب من إيران يدعي " ميرزا رضا الكرماني " وحرضه على قتله، فتسلل إلى إيران واغتاله ١٨٩٦م في المكان نفسه الذي طرد منه الأفغاني[١].

هذا وقد فكر الأفغاني بموافقة محمد عبده في اغتيال الخديوي اسماعيل أثناء مروره على كوبري قصر النيل، لأن الأفغاني كان متفقاً على برنامج الحكم مع ابنه توفيق، الذي قد نجح في ضمه إلى محفله الماسوني. كما أنه اشترك من بعد مع نوبار باشا في السعي لعزل إسماعيل[٢].

١- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام: ٤٥/١ عبد النعيم حسنين: جمال الدين الأسد أبادي ص ١٣٨، محمد محمد حسنين: الإسلام والحضارة الغربية ص ٦٧.

٢- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام: ٧٤/١/مجلة التضامن: ع١ ١٩٨٣/٦/٤م.

أما تعليق محمد عبده على هذه الرواية فهو كما يلي في رواية بلنت: "أما بالنسبة لما قاله عرابي من أنه اقترح في ذلك الوقت عزل إسماعيل فلا شك أن هذا الحديث كان موضوعاً للحديث سراً وقد كان الأفغاني من أنصار ذلك.

وقد أبلغني، والمتكلم محمد عبده أن إسماعيل ينبغي أن يغتال في يوم من أيام مروره اليومي في عربته على كوبري قصر النيل، وقد وافقته على ذلك بشدة، ولكن الأمر لم يتجاوز مجرد الحديث فيما بيننا، فقد كان ينقصنا شخص قادر على الاضطلاع بقيادة هذه العملية، ولو أننا كنا نعرف عرابي في تلك الفترة لكان جائزاً أن نرتب الأمر معه، ولكان ذلك أفضل شيء يمكن أن يحدث، لأنه كان سيمنع تدخل أوروبا، ومع ذلك فإنه لم يكن من الممكن إقامة جمهورية مع حالة الجهل السياسي التي كانت تسود الشعب[1].

وهذا الأمر كان مفتاحاً إلى أسباب طرد الخديوي للأفغاني لأنه أول من أدخل فكرة الاغتيال السياسي في قاموس السياسة المصرية، ومن يفكر في قتل إسماعيل يمكن أن يفكر في قتل من يخلفه على العرش[2].

إن الدارس المدقق لسيرة الأفغاني لا يملك إلا أن يتوقف أمام كثير من الظواهر الغريبة في سيرته. إنه يتساءل: فيم تنقله السريع المفاجئ الذي لا

---

١. بلنت: التاريخ السرسي: ص٣٧٥

٢. مجلة التضامن، ع١ ٦/٤ /١٩٨٣م.

لا يفتر بين إيران وأفغانستان والهند والحجاز ومصر وتركيا وفرنسا والنمسا وانجلترا وروسيا؟.

وفيم هذه الأزياء المختلفة التي كان يلبسها لكل بلد، فهو في زي عربي تارة، وفي زي علماء الشيعة تارة أخرى مع جماعة من كبار علمائهم ومجتهديهم تارة ثالثة، وطربوش تركي تارة رابعة وفي زي أفغاني تارة خامسة، فيم كل هذا؟ وباغي الخير لا يحتاج إلى التستر والتخفي، إنما يتخفى المريب ؟ ومن أين كان ينفق على هذه الرحلات؟ وفيم كانت صلته بالسيد "بلنت" المستشرق البريطاني، ذلك الرجل الغريب، الذي كان لا يفتر عن التنقل بين مضارب الأعراب في مصر وفي سوريا وفي نجد؟ يدعو المصريين إلى الثورة ويتكلم بعد وقوعها بإسم "عرابي" ويقدم له صورة مضللة عن صفته الرسمية وقدرته السياسية، وقوة الجيوش الإنجليزية، ثم يدافع عن "عرابي" بعد اعتقاله؟ ويدعو العرب إلى إنشاء دولة عربية، لأن الدولة العثمانية على وشك الإنحلال والسقوط، ولا ينبغي أن يشاركها العرب هذا المصير، فيجب أن يكونوا دولة عربية حليفة للإنجليز.

و"بلنت" هو صاحب الكتاب المشهور "مستقبل الإسلام"، بل فيم كانت صلة الأفغاني بالإنجليز يلجأ إلى سفيرها في الأستانة لكي يساعده على الخروج من تركيا حين غضب عليه السلطان عبد الحميد[1].

---

١. محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام، ٧٢/١/ محمد محمد حسين. الاتجاهات الوطنية ج٢

ويذكر السلطان عبد الحميد: أن المخابرات العثمانية، حصلت على خطة أعدت في وزارة الخارجية الإنجليزية، واشترك فيها جمال الدين الأفغاني و"بلنت " سياسي انجليزي يعمل في وزارة الخارجية الانجليزية، ومؤلف كتاب "مستقبل الإسلام " ودعا فيه صراحة إلى العمل. على نزع الخلافة من العثمانيين وتقليدها للعرب. وقد رد "مصطفى كامل" زعيم الحركة الوطنية في مصر على "بلنت في كتابه " المسألة الشرقية "قائلاً: وبالجملة فإن حضرة مؤلف كتاب "مستقبل الإسلام "يرى– وما هو إلا مترجم عن آمال جنسه – **أن الأليق بالإسلام** أن ينصب انجلترا دولة له بل إن الخليفة يجب أن يكون انجليزياً[1].

هذا وقد ذكر السلطان عبد الحميد في مذكراته بأن جمال الدين الأفغاني مهرج وله علاقة بالمخابرات الإنجليزية. وقال: وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وانجليزي يدعى "بلنت " قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك، واقترحا على الإنجليز إعلان الشريف حسين أمير مكة خليفة للمسلمين " ثم استطرد قائلاً: "كنت أعرف الأفغاني عن قرب كان في مصر وكان رجلاً خطيراً، اقترح

---

١. علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار البيارق ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ص ٦٦١

علي ذات مرة وهو يدعي المهدية أن يثير جميع مسلمي آسيا الوسطى، وكنت أعرف أنه غير قادر على هذا، **وكان رجل الإنجليز**، ومن المحتمل جداً أن يكون الإنجليز قد أعدوا هذا الرجل لاختباري فرفضت فوراً[1].

أما مصطفى فوزي غزال فإنه يرى أن جمال الدين الأفغاني كان من عوامل الهدم في الأمة في تاريخها الحديث، فقد كان من مؤسسي الماسونية وخاصة في مصر[2]، وقد حامت حول شخصية جمال الدين الأفغاني كثيراً من الشبهات بخصوص انتسابه للمحافل الماسونية وتدرجه فيها حتى وصل إلى درجة غاية في الأهمية[3].

١-محمد حرب: السلطان عبد الحميد ص١٨٣ -١٨٤ ــ دار القلم دمشق ط١ ١٩٩٠

٢- مصطفى فوزي عبد اللطيف غزال: دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام، دار طيبة ط١ ١٩٨٣

٣- يوسف حسين عمر: أسباب خلع السلطان عبد الحميد، دار الكتاب ٢٠٠١م ص٧٤، عمر فاروق يلماز، ترجمة طارق عبد الجليل، السلطان عبد الحميد، دار نشر عثماني ص١١٦

ويطرح السؤال التالي: باسم مَنْ كان جمال الدين الأفغاني يفاوض الإنجليز في الوصول إلى اتفاق مع تركيا؟ ومع المهدي للاعتراف باستقلال السودان ؟ وما هذا الخليط من اليهود والنصارى الذي يجتمع حول الرجل الذي كان صوته أعلى الأصوات في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية، وبالتنديد بفساد المجتمع الإسلامي والدعوة إلى إصلاحه؟ **سليم نقاش** صاحب الكتاب الذي يحمل عنواناً غريباً في إبان الدعوة إلى الجامعة الإسلامية وهو "مصر للمصريين " شآمي نصراني، وأديب إسحاق من نصارى الشام أيضاً، وكان إذا ذكر بعد موته في مجلس الأفغاني جاشت نفسه بالحزن وهو يقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون" وطبيبه الخاص **يهودي** يدعى هارون. وقد كان وهو ونصراني آخر يدعى **جورجي** كونجي هما اللذان شهدا احتضاره وحدهما[1].

والذي كان يساعده في تحرير العروة الوثقى مع **محمد عبده** رجل مريب من إيران يدعى "**ميرزا باقر**" كان قد تنصر، وصار داعية للنصرانية هناك مع جمعية المبشرين، ثم عاد إلى الإسلام ليشارك في تحرير الجريدة الداعية إلى الجامعة الإسلامية[2].

١- قدري قلعجي: ثلاثة من أعلام الحرية، محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ج١ :٩٣

٢- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام:١١٧\٨

ومجالس الأفغاني كانت تضم خليطاً من اليهود والنصارى والمسلمين هذا بالإضافة إلى أنه كان ينزل في حارة اليهود، وألف جمعية سرية أعضاؤها من شباب اليهود[١]. قال **سليم عنحوري**: فاتخذ في حارة اليهود بيتاً مالبث أن صار منتدى العلماء والأدباء و محط رجال الطلبة الأذكياء[٢].

عندما استقر المقام بجمال الدين في مصر بعد طرده من الأستانة سارع رئيس الوزراء رياض باشا الذي كان تحت تدريب نوبار باشا الأرمني، وكان من صنعاء الإنجليز، ونوبار باشا هو الذي أنشأ المحاكم المختلطة في مصر وبتكفله نفقات الأفغاني دون مقابل، وقد اعترف أتباعه بذلك قال رشيد رضا: "فأجْرَتْ له الحكومة الخديوية رزقاً كافياً حسب رواية **أديب إسحاق**[٣] قال سليم عنحوري: " وأجرت عليه الحكومة ألف قرش مصري كل شهر نزلاً أكرمته به لا في مقابله عمل"[٤].

١-محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية:ج١٢ الإسلام والحضارة الغربية

٢-عبد الرحيم أنو علبه: رموز الصحوة الإسلامية: ص٢٤ مخطوط.

٣-عبد الرحيم أبو علبة: رموز الصحوة الإسلامية، ص ٢٣مخطوط.

٤- المرجع نفسه. ص٢٣

كما اتخذ الأفغاني من بار ماتتيا في العتبة الخضراء بالقاهرة مجلساً لندائه وكان ينقذ صاحب الملهى ما يترتب عليه وعلى المتحلقين من حوله وقد خرج من بين تلامذته، ورواد "بار ما تتيا" العديد من الزعماء الذين تعاونوا مع الاستعمار البريطاني وساهموا في ضرب الخلافة الإسلامية وكان بينهم عدد من الأسماء اليهودية والنصرانية التي لمعت كثيرا في ظل الحماية البريطانية[1].

سبحان الله العظيم!! دولة الخلافة الاسلامية تلفظه، وحكومة مصر التابعة للكافر المستعمر الانجليزي، تستقبله، وتكرم وفادته، وتجري له راتباً بأضعاف راتب الشيخ الأكبر شيخ الأزهر، وبدون مقابل، ما سر ذلك ياترى![2].

هذا وقد كانت **تهمة الإلحاد** قد علقت بالأفغاني منذ زيارته الأولى لإستانبول حينما قال إن النبوة صنعة فتعرض لهجوم العلماء فيها، ثم

١- موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض، مؤسسة صقر الخليج للطباعة والنشر ط١ مايو١٩٨٤ ص٣٤٤

٢- عبد الرحيم أبوعلبه: رموز الصحوة الإسلامية، مخطوط.

تعرض بعدها لنفس التهمة من قبل علماء الأزهر وعلى رأسهم الشيخ "عليش" لدى وصوله لمصر وانتقد "سيرته الشخصية وحاشيته التي تضم اليهود والنصارى ولباسه الأوروبي وتدخينه للسيجار فضلاً عن اختياره لمركز نشاطه في إحدى البارات"[1].

وحكى عنه "محمد عبده " وبعض خاصته أنه كان متصوفاً **يدين بعقيدة متصوفة مبهمة وغامضة تنتهي بوحدة الوجود** والتعبير عنها يلتبس إلا على الخاصة مما أدى لرميه **بالإلحاد**"[2].

والأفغاني أول من روج فكرة "**اشتراكية الإسلام** " وقارن بينها وبين اشتراكية الغرب كما أنه قال: " لا مانع عندي من" السيفور "إذا لم يؤد إلى الفجور، ودعا إلى التأويل إذا خالفت النصوص الدينية بعض الحقائق العلمية"[3].

١- -موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض ص٣٤١

٢- -موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض ص٣٤٢

٣- موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض ص٣٤٢

وزار الأفغاني لندن ثلاث مرات اختارته حكومتها في الأولى ضمن الوفد لمفاوضته المهدي في أمر الصلح وكانت ثورة المهدي الشغل الشاغل لإنجلترا آنئذٍ فلم يتم ذلك لموت المهدي، و في الزيارة الثانية عندما جمعه صديقه المستر " بلنت "، رجل الاستخبارات الإنجليزي – بالإنجليز للمفاوضة في أمر السودان، والثالثة عندما شن حملته الشعواء على شاه إيران بعدما رأى منه سوء المعاملة فأبعده إلى الحدود العثمانية[1].

ألا يدل هذا على أن جمال الدين الأفغاني يعمل جاسوساً للإنجليز.

يقول الأفغاني: "رجعت إلى أهل الأرض وبحثت في ما هم فيه مختلفون فوجدته "الدين" فأخذت الأديان الثلاثة وبحثت فيها فوجدت: **الموسوية والعيسوية والمحمدية** على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية، وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية وهنا لاح لي أمل بارق كبير أن **يتحد أهل الأديان"الثلاثة"** وأخذت أضع لنظريتي هذه خططاً وأخط أسطراً وأحرر رسائل الدعوة ثم جمعت ما افترق من الفكر، ولَمَمْتُ شعث التصور ونظرت إلى الشرق وأهله وقد خصصت دفاعي لتشخيص دائه وتحري دوائه، فوجدت أقتل أدوائه داء انقسام أهله، فقد اتفقوا على أن لا يتفقوا، ولا تقوم على هذا القوم قائمة[2].

١-موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض ص ٣٢٢

٢- موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض٣٤٥

وفي حيدر آباد اتصل الأفغاني بالوزير " **سلارجنك** " الإنجليزي وبالسير " سيد أحمد " وهو من عملاء الإنجليز، ولنجاحه أنعموا عليه بلقب" سير"[1] ولما وقعت الأحداث العرابية في مصر استدعت الحكومة الهندية الأفغاني إلى "كلكته" للإقامة فيها لتهدئة العامة حتى لا تتجاوب مع صرخة إخوانها في مصر ويثوروا **ضد الإنجليز**، وقد بقي جمال الدين يخدع المسلمين في الهند حتى بعد مفارقته لها، فكان يعمل لتسكينهم وخفض حرارتهم كلما ثارت خواطرهم ضد الاستعمار[2].

وإليك قارئي العزيز رسالة من " محمد عبده " إلى " بلنت " تفصح عن هذه الحقيقة: " باريس" في إبريل ١٨٨٤م. إلى صاحب السعادة صديقي العزيز صديق المسلمين، ومعين العرب، والمدافع عن الأمة المصرية إلخ...

بعد التحيات إليك وإلى المهذبة الفاضلة الليدي "أنا بلنت" وصلتنا رسالتك بالأمس، ولما قرأناها وجدناها مفعمة بالحكمة والنصائح النافعة للمسلمين، وأكد ثقتنا فيك كصديق لهم، يقدم لك التحية السيد جمال الدين.

١- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين\موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض

٢- موفق بني مرجه: صحوة الرجل المريض.

وسوف يكتب على وجه اليقين إلى أهل الهند في "**حيدر آباد**" وغيرها وينصحهم بالتزام الهدوء ويسكن ألبابهم على نحو ما اقترحت. ويبسط لهم الفكرة التي صُغتها بوضوح في رسالتك، ويضع أمامهم التفاصيل بأفضل أسلوب وأبسطه صديقك المخلص "**محمد عبده** "[1] .

وهل هناك أوضح من هذا النص دلالة على أن، **جمال الدين الأفغاني** وتلميذه " محمد عبده " ينفذان أوامر الإنجليز ومخططاتهم.

وفي باريس فتح جمال الدين فرعاً لمحفل ماسوني كان قد أسس رئاسته " بحيدر آباد "وهي" جمعية العروة الوثقى " وأنشأ له جريدة، وأخذ يدعو للرابطة الشرقية. بغض النظر **عن الدين بدل الرابطة الإسلامية** وتوزع مجاناً[2].

وقد عدّه الباحث الفرنسي مارسيل كولومب أنه " أبو القوميات الشرقية"[3].

وقد كان "بلنت" يساعد جمال الدين الأفغاني بالمال يقول محمد عبده في رسالة لبلنت:

١- د.علي شلش: الأفغاني و محمد عبده و.س. بلنت، كتاب الهلال ص ١٥٠

٢- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية، مخطوط

٣- نفس المرجع.

" فقد اغتبطنا للنصيحة التي تكرمت بها علينا ووعدك بمساعدة صـــحيفتنا " العروة الوثقى، وقد كان هذا أملنا فيك "وفي رسالة "بلنت" إلى "محمد عبـــده" [1] يقول فيها: "أما فيما يتعلق بصحيفتكم فيسعدني أن أبذل كل مـــا بوســـعي لمعاونتكم"[2].

"بلنت" كان يسند جمـــال الـــدين ومحمـــد عبـــده ماديـــاً ومعنويـــاً فـــي باريس، "بلنت" الجاسوس الإنجليزي يساعد جمال الدين الأفغاني بالمال مـــن أجل سود عيونه أليس كذلك!! الإنجليز يعملون لهـــدم الخلافـــة الإســـلامية والقضاء على المسلمين فكيف يساعدون جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده إلا من أجل مصالحهم!!

في رسالة "بلنت" إلى "محمد عبده " السابقة – يقول فيها "بلنت" أما فيمـــا يتعلق بصحيفتكم فيسعدني أن أبذل كل ما بوسعي لمعاونتكم، ولكن **أنـــصحكم** بكل **قواي أن تلزموا الاعتدال في لغتكم حين تكتبون عن الحكومة الإنجليزية** لا بمعنى أن أي شيء تقولونه حـــول تصرفاتها في مصر يمكن أن يتجـــاوز

١– علي شلش: الأفغاني ومحمد عبده و السيد بلنت: كتاب الهلال ٤، ٤٢١، ١٩٨٦/ ص ١٢٠

٢– علي شلش: الأفغاني ومحمد عبده والسيد بلنت/ ص١٤٩

غضبي ونفاذ صبري وإنما لأني أرى في صداقة إنجلترا خير أمل للإسلام"[1]

سبحان الله العظيم، انجلترا التي تعمل كل ما في وسعها للقضاء على الخلافة الإسلامية العثمانية، يرى "بلنت" فيها نصيحة لجواسيسه أنها خير أمل في الإسلام.

ثم شخص السيد الأفغاني ومحمد عبده إلى "لندن" بطلب من تشرشل تاركين تحرير الجريدة **لإبراهيم جان المعطر، وجيمس صنوع وأنيس شاهدي الإيراني** واضرابهم من اليهود والنصارى المخلصين للإنجليز.

يقول الشيخ رشيد: ثم شخص إلى لوندره بإيعاز اللورد "**تشرشل**" واللورد "**سالبري**" ليسأاله عن رأيه في المهدية[2]. ثم عاد الأفغاني إلى فرنسا، وتعرف بكثير من علمائها وفلاسفتها فأحلوه مكاناً عليا[3]. ومما قاله "سالبرى" للأفغاني:

١-علي شلش: الأفغاني و محمد عبده و السيد بلنت، كتاب الهلال ع ٤٢١ ص ١٤٩

٢- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ص ١٠٠ محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين

٣- محمد رشيد رضا ص ١٠١، محمد باشا المخزومي، خاطرات جمال الدين

"إن بريطانيا تعلم مقدرتك، ونحن نقدر ما تسمح لنا به الظروف والأحوال لذلك تصورنا أن نرسلك إلى السودان بصفة سلطان عليه فتستأصل **جذور فتنة المهدي وتمهد** السبيل لإصلاحات بريطانيا فيه[1].

وفي بداية رسالة جمال الدين إلى " بلنت " يقول فيها: باريس ١٢ مايو ١٨٨٥م بعد التحيات، الخ " أعرفك بأني لست وحدي الشاكر لجهودك المرموقة التي أجبرت الحكومة " الإنجليزية " على إجلاء قواتها عن السودان، بل أؤكد لك أن جميع المسلمين، ولا سيما العرب، سيشكرونك على صنيعك هذا أبد الدهر، وسينقشون اسمك على لوحات مرصعة بالأحجار الكريمة وألقاب المجد والشرف لقاء حماسك وشجاعتك. غير أن ثمة شيئاً واحداً مازال عليك أن تصنعه، وهو أن تقول للحكومة: كيف تتركون هذا البلد "السودان" هكذا دون معاهدة مع المهدي. وعلى من تقع تبعة صد هجمات المهدي؟ كيف يمكن للحكومة أيضاً أن تدع طرق التجارة مغلقة؟ أم هي تريد القضاء على التجارة؟ أليس من الواجب على الحكومة حين تقرر الجلاء عن السودان أن ترسل رجلاً مسلماً موثوقاً فيه إلى المهدي حتى يتباحث معه في أمر التوصل إلى صلح يحمي مصر من هجماته ويغلق أبواب النزاع

١- عبد الرحيم أبو علبه، رموز الصحوة الإسلامية ص ٣٠-٣١ ، مخطوط، محمد المخزومي: خاطرات جمال الدين ص ٥٤.

ويعيد فتح أبواب التجارة.

أعتقد أن هذه المسألة لو عرضت على البرلمان لاجتمع الـــرأي بالموافقـــة عليها. "وأرى أيضاً أن هذا أمر ميسور حتى بغض النظر عما تقوم به. فحين ينتهي حساب المسألة من يحتاج منكم إلا إكمالها، ولكن لا يمكن الوصول إلى خاتمة نهائية للموقف كله بدون معاهدة صلح مع المهدي"[1] هذا ما رأيت من الضروري أن أنقله إليك.

مع تحياتي إليك وإلى حرمك

صديقك

جمال الدين الحسيني الأفغاني

هذه الرسالة تنم عن علاقة ود وحب وإخلاص من الأفغاني للإنجليز.

وفي رسالة أخرى من "أنا بلنت" إلى الأفغاني فيها موافقة رئـــيس وزراء بريطانيا مستر "غلاد ستون" على إرسال رسول للتفاوض مع المهدي، وبمنح هذا الرسول ورقة أمان من اللورد " لسلي " ليتمكن من الوصول إلى المهدي، ويكون الأمر سرياً ويستشيرونه من هو الأصلح لهذه المهمـــة، هـــل هـــو " **إبراهيم المويلحي** " أو " محمد عبده " أو غيرهم[2].

١- علي شلش: جمال الدين الأفغاني و محمد عبده والسيد بلنت، كتاب الهلال ع ٤٢١ ص ١٤٩

٢- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية، مخطوط.

وهناك مراسلات أخرى تنسق لتمهيد اللقاء مع عميلهم " **ملكوم خان**"[1] وكلها بخط واحد هو زوجة "بلنت" الهولندية.

بعد ذلك توجه الأفغاني إلى إيران بدعوة من الشاه **ناصر الدين**، فمكث عدة شهور في ميناء بوشهر[2] حيث كان مركز لقائه **بابراهيم جان المعطر** اليهودي ثم انتقل إلى أصفهان، ثم إلى طهران، ونزل بدار الحاج "**محمد حسن أمين الضرب**" ورفض أن ينزل في دار الصدر الأعظم حتى لا يكون تحت الرقابة الشديدة [3] ثم مالبث أن طلب منه أن يعود من حيث أتى حيث تحركت زمرة من العامة، وتجمعوا هنا وهناك ولغطوا فيما بينهم قائلين: "ألا لعنة الله على البابية وأعداء الشاه"[4]

وفي هذا إشارة إلى أن الشيعة يعدّون جمال الدين من البهائيين، ومن الجدير بالذكر أن أعداء الشاه ووالده مع البابية كان لإعدام "بابهم" أي "إلههم" وفي هذه الرحلة عين " **محمد حسين أمين الضرب**" و"ميرزا رضا كرماني" تابعاً لخدمة جمال الدين[5].

١- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية مخطوط .

٣- المرجع نفسه.

٣- المرجع نفسه.

٤- المرجع نفسه.

٥-المرجع نفسه.

وعندما غادر الأفغاني إلى روسيا بعد أن طرده الشاه صاحب صاحبه ميرزا رضا كرماني إلى روسيا[1] ثم عاد مع الأفغاني إلى إيران مرة ثانية. وميرزا الكرماني كان من البابيين وهو القاتل للشاه فيما بعد عودته إليها ١٨٩٠م.

وأثناء إقامة الأفغاني في طهران في منزل الحاج **أمين الضرب** جاء عدد من اليهود لزيارته فمنعهم خادم **أمين** الضرب " وما أن علم **السيد** بأمرهم حتى أمر بعدم منعهم و حضروا وجاملهم وملأ مناديلهم حلوى بمناسبة **عيد النيروز**[2].

إن الاحتفال بعيد النيروز للمسلمين يعتبر كفراً والعياذ بالله، ولم يكتف الأفغاني بالاحتفال بعيد النيروز بل يستقبل اليهود و يكرم وفادتهم.

أما إبراهيم المويلحي فإنه يثبت بأن الصلة بين الأفغاني والإنجليز كانت وثيقة جداً إلى درجة أنه كان يفاوض معهم في مسائل سياسية متعلقة بدول غير دولته الحقيقية، ودون الرجوع إلى المسؤولين في هذه الدول. ومن غير المنطقي أن يصل إنسان ما وصل إليه جمال الدين من النفوذ وعلو الشأن إلا إذا كان مدعوماً بمساندة دولة عظمى كبريطانيا في العصر الذي عاش فيه[3].

١- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية.

٢- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين.

٣- عبد الرحيم أبو علبة: رموز الصحوة الإسلامية.

والمويلحي من أتباع الأفغاني ومن تلاميذه المخلصين يثبت علاقته بالإنجليز أعداء الإسلام والمسلمين، ثم عاد الأفغاني إلى إيران ثم شيع باللعنات والتكفير، فسافر إلى **لندن** بعد زيارة **للبصرة**، ونسق مع "**مالكوم خان**" واجتمع مع مستر "براون" في بيت الوزير المخلوع "**مالكوم خان**" كل ذلك بتنسيق "بلنت" وتباحث مع **تشرشل سيردور موندلوف**، وتقرر أن يسافر الأفغاني مع "ولف" المذكور إلى **استانبول**، وكان" ولف" قد تعين ممثلاً لبريطانيا في مصر، وكان يرغب أن يتوجه أولاً إلى العاصمة "استانبول" للاتفاق مع السلطان بخصوص مصر[١] ولكنه سافر دون أن يودع الأفغاني. وبلغ السلطان أن الأفغاني يزمع العمل لخلافة إسلامية عصرية[٢] فاستدعاه الخليفة، وتحايل عليه مستشاره حتى وقع في الشرك فوضع تحت الإقامة الجبرية لاتقاء شره[٣].

ولما أحس جمال الدين بضيق الخناق عليه في دار السلطان لجأ إلى الإنجليز ووصفهم بالإنسانية وحماية الضعفاء من المظالم البربرية على أساس أنه رعية أفغانية ولكن الإنجليز ماطلوه ولم يجيبوه إلى طلبه[٤].

١- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية، مخطوط.

٢- عبد النعيم حسنين: حقيقة جمال الدين .

٣- علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط

٤- محمد حرب: مذكرات السلطان عبد الحميد.

وهكذا خذل الإنجليز عميلهم بعد أن استنفذوا أغراضهم منه وامتصوا طاقته كلها، وقضوا وطرهم منه، وحققوا مآربهم على يديه وكانت نهايته، فليعتبر الخونة والعملاء، وليتقوا الله في كل عمل يقومون به.

من هذا نرى أن الأفغاني كان يعتمد على أسياده الإنجليز في تنفيذ مشاريعه.

إذن ما هي الأفاق الحقيقية والأغوار البعيدة لدعوته التي كان يبدو على سطحها الظاهر دعوة متحمسة إلى إصلاح المجتمع الإسلامي!

يصف أبو الهدى الصيادي هذا الرجل في خطاب كتبه إلى رشيد رضا ١٨٩٨م. فيقول: "إن الأفغاني مارق من الدين، كما مرق السهم من الرمية"[١] ويقول تلميذه أديب اسحاق في ترجمته: "إنه أحس بميل إلى التصوف في بدء حياته فانقطع حيناً في منزله يطلب الخلوة لكشف الطريقة وإدراك الحقيقة ثم خرج من خلوته مستقر الرأي على حكم **العقل** وأصول الفلسفة القياسية[٢].

١- رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ١: ٩٠، محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية.

٢- المصدر نفسه.

ووضعه سليم العنحوري حين ترجم له في شرح ديوان "سحر هاروت" فقال: "إنه سافر إلى الهند وهناك أخذ عن علماء البراهمة والإسلام أجل العلوم الشرقيه والتاريخ وتبحر في لغة السنسكريت أم لغات الشرق، وبرز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى **الإلحاد والقول بقدمية العالم**[1] ووصف رشيد رضا الأفغاني بأنه كان يميل إلى وحدة الوجود، التي يشتبه فيها كلام الصوفية بكلام الباطنية، وقال: إن كلامه في النشوء والترقي يشتبه بكلام **دارون**[2] وكتاب رشيد رضا إليه الذي كتبه في سنة ١٣١٠ هـ ١٨٩٢م الذي أورد نصه في كتاب " تاريخ الأستاذ الإمام" يثبت ذلك، حيث يبدأ بقوله: "الحمد لله على إفضاله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله، وعلى **سيدي بل السيد** المطلق، سدرة منتهى العرفان، وجنة مأوى المحاسن والإحسان، الذي له في كل جو متنفس، ومن كل نار مقتبس، الإمام المفرد، والعقل المجرد..بدل الأبدال، سيد الآل، الإنسان الكامل، الوارث الكامل، المرشد الكامل. مهبط الفيض مَصنَع الكلم الطيب مجلى سر الجمال الأكمل [3].

١- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام: ٤٣١١، مجلة التضامن ع٦ ٢١- ٥-١٩٨٣م لويس عوض.

٢- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام: ٩٢١١-٩٣

٣- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام: ١: ٨٥

أما كتاب "محمد عبده" الذي بعثه إليه من بيروت في ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٠٠هـ ١٨٨٢ م بدأه بقوله: ليتني كنت أعلم ماذا أكتب إليك وأنت تعلم ما في نفسي كما تعلم ما في نفسك، **صنعتنا** بيديك، وأفضت على موادنا صورها الكمالية، **وأنشأتنا في أحسن تقويم**، فبك عرفنا أنفسنا، وبك عرفناك، وبك عرفنا العالم أجمعين. فعلمك بنا كما لا يخفاك أعلم من طريق الموجب، وهو علمك بذاتك، وثقتك بقدرتك وإرادتك، فعنك صدرنا وإليك المآب. وفيه يقول مخاطباً الأفغاني: فصورتك الظاهرة تجلت في قوى خيالية، وامتد سلطانها على حسي المشترك، وهي رسم الشهامة وشبح الحكمة، وهيكل الكمال، فإليها رُدّت جميع محسوساتي، وفيها فنيت مجامع شهوداتي، وروح حكمتك التي أحييت بها قواتنا وأثرت بها عقولنا ولطفت بها نفوسنا، بل التي بَطَنْتَ بها فينا، فظهرت في أشخاصنا، فكنا أعدادك وأنت الواحد، وغيبك وأنت الشاهد، ورسمك الفوتوغرافي الذي أقمته في صلاتي رقيباً على ما أقدم من أعمالي، ومسيطراً علي في أحوالي، وما تحركت حركة، ولا تكلمت كلمة، ولا مضيْتُ إلى غاية، ولا انثنيت عن نهاية، حتى تطابق في عملي أحكام أرواحك وهي ثلاثة، فمضيْتُ على حكمها سعياً في الخير، وإعلاءً لكلمة الحق، وتأسيساً لكلمة الحق، وتأييداً لشوكة الحكمة وسلطان الفضيلة، ولست في ذلك إلا آلة لتنفيذ الرأي المثلث ومالي من الإرادة حتى ينقلب مربعا. ويستطرد قائلاً:" فإني على بينة من أمر مولاي، وإن كان في قوة **بيانه ما يشكك الملائكة في معبودهم، والأنبياء في وحيهم**".

وفيه يطلب نسخة من رسم فوتغرافي حديث فيقول: ونستمنح من كرمه الواسع أن يمن علينا بأمرين، أحدهما، إرسال رسمه الفوتغرافي الجديد، فإن هذا **الخادم** كان عنده نسختان من الفوتغرافية الأولى، إحداها أخذها أعوان الضبطية من بيتي عندما أودعت السجن كما أخذوا **كتاب الماسون بخط مولاي المعظم**، والثانية استجدانيها سعد أفندي زغلول وهو من خواص محسوبيكم، ولشفقتي عليه تركتها له أياماً ليعيش أعواماً[1].

ومن هذا القبيل كتاب "إبراهيم المويلحي" إلى جمال الدين الأفغاني حسب ما جاء في صدره الذي أرسله إليه من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٣م الموافق ٧ ربيع الثاني ١٣٠٠هـ بتقديم التاريخ الميلادي على الهجري وقد بدأ بقوله:"إن راسل سواي حظيرة قدس مولاي وأنا لم أفعل فلا عجب ولا عقوق فاني أخص حَشَم تلك الحظيرة وأقربهم إلى قدسها، فأنا أشدهم خوفاً من مولاي، وأبعدهم تصوراً بعظمته، وما تصورت غير العجز عن التصور.

١- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام ٩٧/١.

فكلما نزع بي الوجد إلى المراسلة، غشيني من هذا التصور غـــاش عمّنـــي هيبة ودهشة، وأفعمني ذهولاً وغشية، حتى لا أعقل إلا العجز، ولا أعي إلا القصور، ولا أستمع إلا الزجر، ولا أبصر إلا الحطة، ولا أحس إلا الضعف ولا أجد إلا الحيرة، بل هذه كلها كلمات أكني بها عما يعروني حينئـــذٍ مـــن الأحوال كما يكنى بما في الدنيا عما في الجنة ".

أما كتاب الأفغاني إلى محمد عبده عند مروره ببورسعيد في طريقه إلـــى لندن، فقد بداه بكلام غريب خرج فيه عما جرت عليه عادة المـــسلمين، مـــن البدء باسم الله وبحمده والصلاة على نبيه فقال: "الإبتهاج بجميل الصُنع جزاء تفيض به جامعة الكون على النفوس، كلما قامت بوظائف الوجود، والمحمدة شهادة تبعث ملكوت وحدانية الهيئة على بثها متشخصات الطبيعة في مـــشهد العالم، تخليداً للجزاء وتعظيماً للأجر، فلك بجميل صنعك مـــع "المعـــارف " الجزاء الأوفى. وفي آخر الخطاب يشير الأفغاني إلى عصابته الذين بـــايعوه بقوله: "سلم على كل من عَرَفنا وعَرفناه، واعترف بنا وسلّمنا له".

كما يطلب إبلاغ سلامه "لصاحب النفس الزكيّة، الهيئـــة العليّـــة، دولـــة رياض باشا أيده الله تعالى"[1].

١- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية.

إن الآراء السائدة في الرسائل السابقة، والتي هي قدر مشترك بين الأستاذ وتلاميذه، من قبل كلام الأفغاني عن "جامعة الكون" و "ملكوت وحدانية الهيئة ومتشخصات الطبيعة، **وغلو محمد عبده ومحمد رشيد رضا في وصف** الأفغاني بما لا يوصف به إلا الله الخالق جل شأنه، وجرأته على الملائكة والأنبياء، كل ذلك لا يكشف إلا عن عقيدة باطنية فاسده عند الأستاذ وتلاميذه.

وحكى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية "حسن أفندي فهمي" عن الأفغاني حين كان في زيارته الأولى للأستانة أنه جعل النبوة صنعة، وسوّى بينها وبين الفلسفة.

ولما تصدر الأفغاني في القاهرة للتدريس في الأزهر هاجمه علماؤه، وكان الشيخ "عليش" وهو عالم من علماء الأزهر مغربي الأصل مشهور بتدينه وشدة غيرته على الإسلام أعنفهم في ذلك، فكان يروغ بعكازه على الأفغاني وتلاميذه في صحن الأزهر، حتى انقطع عنه، وأصبح يجتمع بتلاميذه في بيته أو في قهوة البوستة.

إن هذه الأقوال لا تدعو إلى الإطمئنان لظاهر أمر الأفغاني، وتدعو إلى التنقيب عما وراء هذا الظاهر لذا يجب إعادة النظر في أمره، والتنبيه إلى أنه كان ذا أهداف سياسية خطيرة، تذكرنا بأهداف الباطنية وأساليبهم، وهو المسؤول عن إنشاء الدعوات السرية في المجتمعات الإسلامية الحديثة، وتشريع الإغتيال وسيلة لتحقيق أهدافها، وتصعيد الدعوة إلى الحرية التي بدأت كما سبق أن تحدثنا مع الجيل الأول، جيل الطهطاوي وخيرالدين

وهي دعوة تشمل الحرية والتحرر بكل معانيها السياسية والفكرية والاجتماعية، وبكل ما تشتملان عليه من روح التمرد والانطلاق الذي يأبى كل قيد ويرفض كل موروث، ولو كان قيد الدين وميراثه وتقاليده بالإضافة إلى سعيه لإفساد العقيدة الإسلامية واستعانته بالكافر المستعمر لتحقيق أهدافه.

لقد شكل **الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا مدرسة هي المدرسة الإصلاحية**، ومن مآخذ **يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني** (١٢٦٥-١٣٥٠ هـ) على هذه المدرسة تنحصر في أمرين:

أولهما: هو دعوى الاجتهاد المطلق مع عدم الكفاية من الناحية العلمية ومع فساد الاستعداد من الناحية الروحية، وسوء السيرة من الناحية الخلقية والسلوكية.

ثانيهما: هو أنهم مع ترفعهم عن الإقتداء بالأئمة الأعلام من فقهاء المسلمين يقتدون بالبروتستانت في تنقيح الإسلام، وبالمجامع المقدسة النصرانية في اتخاذ قرارات تعمل على تطوير الإسلام أو تحسينه حسب زعمهم بالزيادة أو النقص[1].

١- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية

فجمال الدين ومحمد عبده، ورشيد رضا عملوا على التجديد في الإسلام وإعلاء شأن العقل في فهم الإسلام فجمال الدين كان حريصاً على الدعوة إلى تجاوز الخلافات المذهبية وإعلاء شأن العقل في فهم الإسلام فلقد سأله أحد علماء السنة:

ما عقيدتك؟ فأجاب: إني مسلم.

فسأله ثانية من أي المذاهب أنت؟ فأجاب إني لم أعرف في أئمة المذاهب شخصاً أعظم منّي، حتى أسلك طريقه.

ولما كرر عليه السؤال، أجاب إني أوافق بعضهم في أمر، وأخالفهم في أمور، فهم رجال ونحن رجال[1].

خلاصة القول أن جمال الدين كانت له دعوة أخرى غير دعوى التمذهب، يختلف فيها مع أهل تلك المذاهب، إذ أن المدخل الصحيح لدراسة فكره هو مدخل التجديد وإعلاء شأن العقل في فهم الإسلام. وقد تتبع النبهاني[2].

١-هاني عبد الوهاب المرعشلي: التجديد في الفكر الإسلامي المعاصر جمال الدين الأفغاني ص٣٩

٢- يوسف النبهاني: يوسف بن اسماعيل بن يوسف النبهاني، شاعر،أديب، من رجال القضاء، ولد بقرية أحزم قضاء حيفا ، تعلم بالأزهر (١٢٨٣-١٢٨٩هـ) عمل تجريدة الجوائب، كان رئيساً لمحكمة الحقوق في بيروت، هاجم جمال الدين الأفغان، محمد عبده، محمد رشيد رضا، له قصيدة "الراية الصغرى " التي هاجم فيها زعماء المدرسة الإصلاحية . الأعلام - خير الدين الزركلي.

زعماء هذه المدرسة: الأفغاني، محمد عبده، ورشيد رضا في قصيدته الرائية الصغرى، في ذم البدعة ومدح السنة الغرّا، وهي قصيدة طويلة تبلغ ٥٥٣ بيتاً فحص كل فرد منهم بفصل منها بقول في سوء سيرة كل المنتمين إلى هذه الجماعة:

تراهم إباحيين أوهم نظيرهم
إذا كنت عن أسرارهم تكشف السِّترا
وكلّ امرئ لا يستحي في جداله
من الكِذْبِ والتّلفيق مَهْما أتى نُكرا
فمن قال صلّوا قال قائلهم له
يجوزُ لنا في البيت نَجمعُها قصْرا
وإن قيل لا تشرب يقول شربتُها
بقصدِ الشّفا أو قال ليس اسمُها خَمْرا
فيجهر كلٌّ بالمعاصي مُجادلاً
بما نفثَ الشيطان في قلبه سرّا
فلا صام، لا صلّى، ولاحَّج، لا حبا
فقيراً وإن أودى به فقره برّا
وفي الألفِ مِنْهم واحدٌ رُبَما أتى
مساجدَنا لكنْ إذا كان مُضطرا
وأخبرني مَنْ لا أشُكُّ بصدقه
بأن قد رأى مَنْ بال من هم يلا استِتْرا

ولازمـــه حتـــى أتـــى بَعْدُ مســـجداً

فصلّى وَ لَمْ يُحدِثْ مِنَ الحَدَثِ الطُّهْرا

وآخـــر مـــنهـــم قـــد أقـــام صلاته

بدون اغتسال مَعْ جنـــابته الكبرى

عـــلى وَجـــه كُلٌّ من ظـــلامٍ عـــلامة

به عَرَّفتْ من لم يكن يعرف الأمرا

ثم يقول:

أولئـــــك أنصـــار الضـــلال وحِزْبُـــهُ:

وإن قدَّر الرّحمَـــن منهـــم لنا نَصْـــرا

فإيـــــاك أنْ تَغْتَـــر منهـــم بفاجِـــــرٍ

وإنْ أنْتَ قدْ شَاهَدتَ مِنْ فِعْلِهِ الخَيْرا

فذلـــك شـــيء جـــاء ضـــد طباعهـــم

وقـــد فعـــلوا أضعاف أضعـــافه شرّا

وكـــــم أيـــّد الإســـلام ربيّ بفاجرٍ

فَلِلّهِ يا لا الفاجِرِ الحمد والشكرا

أشَـــــدُّ مـــن الكـــفار فيـــنا نكاية

وأعـــظم مـــنهم في ديـــانتـــنا ضـــرّا

من الكـــفر ذو الإسلام يأخذ حِذْرَهُ

ومـــن هـــؤلاء القـــوم لا يأخذ الحذرا

ويقول النبهاني في التقائــه بالأفغــاني ســنة ١٢٨٦هـــ ١٨٧٦م فــي القاهرة، وما كان من طرد الشيخ عبد الرحمن الشربيني شيخ الجامع الأزهر من حلقته بعد زجره:

أتــى مــصر مطروداً فعاب بقــطرها
فيــا قُــبحَه شيــخاً ويا حُــسنَه قُطْرا
وكــنت بــذاك الحين فيها مجاوراً
بأزهــرها صاحبــت أنــجُمَه الــزُهْرا
بتاريخ ستٍّ والثمانين قد تــلت
مــع المــائتين الألف في الهــجرة الغرّا
حضــرتُ بِفقــه الشافعي خطيبَهُ
علــى شَيــْخ شِــرْبــينِ فألفيته بَحْرا
وجــاء جمــال الــدّين يوماً لِدَرْسِهِ
فــألقى علــى الأستاذ أسئلة تــترى
ففاضــت علــيه من معارف شيْخنا
ســيولٌ أرَتْهُ عــلمَه عِــنْده قطرا
وإذ شــمَّ منه الشــيخُ ريح ضَلالِهِ
وإلحــادِه أولاه مَــعْ طَــرْدِهِ زَجْرا
وذاكرتُــه يــومــاً فأخــبر أنــه
كــأســتاذنا لم يُلْفِ في مِصْرِهِ حَبْرا

ومـــن بعد هذا حاز في مصر شهرة

وألقـــى دروساً للفـــلاسف في مصرا

وحيـــن أتـــاه ذلك الحـــينَ عَـــبْدُهُ

وأمثـــاله أفـــشى لهـــم ذلك السرّا

أسرَّ لهـــم مَحْـــوَ المـــذاهب كُلّـــها

ليرجـــع هـــذا الدين في زعمه بكر

الفصل الثالث

الفصل الثالث

ماهية الماسونية والتعريف بها:

انتشرت الماسونية السرية التنظيم في بقاع العالم المختلفة، تحت أسماء وعناوين مختلفة، وأثارت الكثير من التساؤلات لدى العامة، باختلاف دياناتهم وقومياتهم، وكان الجدل الحقيقي يكمن في ماهية الماسونية وتعريفها، وأهدافها، ونشاطها، وظلت إلى عهد قريب تثير الفضول، لدى كثير من الباحثين الذين عملوا بحثاً وتنقيباً من أجل التوصل للحقيقة التي طلبها الجميع.

الماسونية هي مخطط فكري سياسي اجتماعي واقتصادي، صهيوني الفكر عميق الأهداف، كبير الأثر، قادته هم أساطين الفكر اليهودي العالمي، يعملون في عالم حالم لا يدري ما يحاك ضده، في خفاء وغموض ومظاهر خلابة.

والماسونية تحمل أسماء مختلفة، وتعمل بسمات متعددة لتخدم أهدافاً صهيونية واحدة. وهي تظهر بأسماء إنسانية براقة، لكنها حاقدة حقداً أسود على البشرية كلها في أعماقها،وقد انغمس في حمأتها رجال فكر وعلماء عظام لهم دورهم الكبير في تاريخ الأمم عن قصد أو غير قصد[1].

١- حسين عمر حماده: شهادات ماسونية، ط١، دارقتيبة للطباعة والنشر ١٩٨٠م

الماسونية حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود وخاصة في مرحلة الضياع السياسي الذي تعرض له التوراة، فأخذت الحاخامات على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية.

فهي حركة ذات هدف يهودي بحت، وذات طابع عالمي تلبس من أجل تحقيق أهدافها كل صور وأدوات العصر الذي تمر به وطقوس وشعائر المجتمع الذي تكون فيه لإمكانية تحقيق الهدف الماسوني في خاتمة المطاف[1].

والماسونية هي تحريف للفظ (فرسون) وهو اسم مركب من لفظين فرنسيين هما (فران) ومعناها الصادق و(ماسون Mason) أي البناني هم بذلك يريدون القول أنهم (بناؤون صادقون)[2].

١- د.سيف الدين البستاني: أوقفوا هذا السرطان، دار النهضة العربية ١٩٥٩م

٢- لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون، الطبقة الكاثوليكية ١٩١٠، ص١٤

كذلك قام " يوسف الحاج" وهو ماسوني من أصل لبناني نال من الماسونية ألقاباً تدهش العقول، فأصبح نائب أستاذ أعظم-اقليم فلسطين- بتعريف الماسونية حيث أكد أن أصلها بالفرنسية (فرنماسوري) وبالإنجليزية (فريماسين أي البناء الحر أو البناؤون الأحرار[١] .

وللماسونية طابعان: ظاهري وباطني، فالطابع الظاهري هو الذي تظهر فيه للسذج كما يوضح ذلك الماسوني المخضرم "شاهين مكاريوس " بقوله: " الماسونية جمعية أدبية خيرية، تحوي نخبة أفاضل الرجال على اختلاف نحلهم ومللهم، وتباين نزعاتهم، وآرائهم وكانت في بادئ أمرها عملية منحصرة في جماعة البنائين ثم اتسع نطاقها"[٢].

والماسونية تنور الأذهان وتنشر الإخاء، وتوطد الحب بين الأعضاء وتحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين"[٣].

وأما الطابع الخفي"الباطني" فهو كما عرفه العلامة الهولندي "دوزي" بقوله:

١- يوسف الحاج هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود ص ١٣٢

٢- شاهين مكاريوس الأسرار الخفية في الجمعية المائية، "بيروت، دار مارون عبود ١٩٨٥"ص ١١.

٣- محمد أحمد ذياب: المخططات الماسونية العالمية (ط١، القاهرة، دار الفكر ١٩٨٩ م " ص١٢.

"هي جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، ويعملون لغاية واحدة،لا يعلمها إلا القليلون منهم إلا أن الغاية هي رفع راية إسرائيل في سماء أرض كنعان"[١].

نشأة الماسونية:

هناك اختلاف في تاريخ نشأة الماسونية، فهناك قول أنها شُيدت يوم بني سليمان هيكله[٢].

وهناك من اشتط في ادعائه بأن آدم هو مؤسسها، وهناك ادعاء بعضهم أن الله سبحانه وتعالى هو مؤسسها في جنة عدن، و أن الجنة أول محفل ماسوني[٣].

أما دائرة المعارف البريطانية في تحرير مادة " الماسونية " تقول بأنها التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الأخوية السرية للبنائين الأحرار والمقبولين وهي أكبر جمعية سرية في العالم"[٤].

١- محمد علي الزعبي: الماسونية منشئة ملك إسرائيل بيروت: مؤسسة مطابع معتوق ، ١٩٧٨م ص١٠

٢- شاهين مكاريوس: تاريخ الماسونية العالمية ١٩٨٤ م ص١٥-١٦

٣- فتحي يكن: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام "ط١، بيروت مؤسسة الرسالة ١٩٧٩ م" ص ٥٤

٤- دائرة المعارف البريطانية، ١٩٧١م

ويمكن القول بأن الماسونية كجمعية لم يتجاوز عمر العصور الوسطى على أبعد تقدير، وتم تجديد نشاطها أو بدأت عملها لأول مرة منذ القرن السابع عشر والثامن عشر. والماسونية لا تعترف بالدين وتعمل بالسياسة العليا[1].

إن من جملة أهداف الماسونية لحركة عنصرية تنزع إلى القضاء على تعاليم الأديان السماوية كلها، وذلك بزعزعة الثقة في إعتقاد أن تكون الأديان أنموذج العمل الإنساني الأعظم في خدمة التطور الإنساني ومستقبله.

ومن هنا فإن الأعمال الكبرى لتنظيمات العمل الماسوني تجئ في خدمة هذا الهدف، هدف القضاء على تعالم الأديان[2].

لبست الماسونية مع تطور وتصاعد عدائها ضد الإسلام أثواباً عديدة وكل ثوب يوائم المرحلة والعصر الذي تمر به تنظيمات الماسونية كقوة خفية تعمل في الظلام جيلاً بعد جيل[3].

١- صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول.

٢- صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول. ص ٢٣٢.

٣- المرجع نفسه.

يقول لويس شيخو: "إننا نؤكد أن الماسون يعتبرون الأديان كلها خرافه"[1].

قال "بردون" أحد زعماء الماسونية: "ليست الماسونية سوى نكران جوهر الدين، وإن قال الماسون بوجود إله أرادوا به الطبيعة وقواها المادية أو جعلوا الإنسان والله سبحانه وتعالى شيء واحد"[2].

وأما "ويسهويت" فإنه يقول في شرحه للدرجة الماسونية العليا: كل شيء هو مادي فالله والعالم ليس إلا شيئاً واحداً وجميع الديانات هي خيالية غير ثابتة اخترعها الرجال ذو المطامع[3].

أما جواد رفعت أتلخان فإنه يقول: كنا ندعي بأنه لا علاقة لنا مع الدين والسياسة، هل كان هذا خداعاً منّا ؟! لا أظن، ولكننا خشية من مغادرة قوى البوليس والقوانين، كنا نضطر إخفاء مقاصدنا وغاياتنا نعم نشتغل بالسياسة، وبالسياسة فقط في محافلنا لا بل بالسياسة العليا[4].

١- لويس شيخو: السر المصون في شيعة الفرمسون.

٢- صابر طعيمه: الماسونية ذلك العالم المجهول.

٣- نفس المرجع.

٤- جواد رفعت أتلخان: أسرار الماسونية.

هذا ولا يُقبَل المتدينون في المحافل الماسونية، لأن الذي ينخرط في المحافل يجب أن يكون حراً، والماسوني الحقيقي لا يكون متديناً[1].

إن الغاية من وجود الماسونية هي النضال ضد الجمعيات المستبدة المنتمية إلى الماضي، ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الأولى لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد[2].

إن الماسونية تعني اللادينية واللاوطنية واليهودية أوالكفر البواح.

ولذا فإن الماسونيين لم يقوموا بنشاطهم في ضوء النهار، بل التقوا في الظلمات ونفذوا خططهم تحت ستار كاذب من الإنسانية[3].

على الإخوان الماسون أن يَنفذوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها لا بل عليهم إذا احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على أن لا تشم فيها رائحة حقيقية للدين، وعليكم أن تولوا أمورها السُذج من رجال الدين ولتطعموا – خفية – ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم وأمثال هؤلاء ممكن إقناعهم بالدرجات والرتب الماسونية "[4].

١- جواد رفعت أتلخان: أسرار الماسونية ترجمة نور الدين رضا، الدوحة دار العلوم ١٩٥٦ \ ص٢٢.

٢- عبد الرحيم أبو علبة: رموز الصحوة الإسلامية ٩٩.

٣- نفس المصدر.

٤- عبد الرحيم أبو علبة: رموز الصحوة الإسلامية ٩٩.

إن الماسونية هي جمعية يسيرها بالفعل في العالم أبناء إسرائيل الصهيونيون لأغراض يهودية خالصة[1].

أما الحاخام "اسحاق وايز" فقد قال في مجلة الإسرائيلي الإنجليزي بتاريخ ١٩٦٥\٤\٣٠م: "إن الماسونية مؤسسة يهودية كل ما فيها من ألفها إلى يائها يهودي، تاريخها، حياتها، مراسمها، كلمات المرور، وكلمات السر فيها، وفي توضيحاتها أنها يهودية من البداية للنهاية[2].

هذه هي الماسونية، وهذه حقيقتها، ولذلك من ينتسب إليها وهو على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب لأهله، لذا فإن ماسونية الأفغاني لم تعد أمر خفياً.

١- يوسف حسين عمر: السلطان عبد الحميد ١٦٧.

٢- المرجع نفسه ١٦٨.

حقيقة علاقة جمال الدين الأفغاني بالماسونية والإنجليز

الماسونية في إيران:

قبل سنوات صدر في إيران كتاب في ثلاثة مجلدات بعنوان "الماسونية في إيران" في ظروف تميزت باشتداد المتناقضات والتناحرات في المجتمع الإيراني بين المصالح البريطانية والمصالح الأمريكية، وذلك بعد أن أصبح نفوذ أمريكا شاملاً في إيران، حدث هذا في آذار من عام ١٩٦٩م وقد سرد مؤلف الكتاب " إسماعيل رائين" تاريخ الماسونية في إيران وأسماء الماسونيين القدامى والجدد ومن بينهم تسعون في المائة من رجال السياسة والإقتصاد والأعمال وبعض ما يسمون برجال الدين.

وقيل في ذلك الحين، إن الشاه نفسه كان وراء إجازة السماح بإصدار هذا الكتاب بسبب تخوفه من إزدياد نفوذ الماسونية من حوله.

وفي نهاية الجزء الثالث من كتابه، تعهد رائين بإصدار الجزء الرابع والذي سيتضمن أسماء جميع الملالي الذين انضموا إلى ما سُمِّيَ بـ " المحفل الإسلامي" الذي أنشأه جمال الدين الأسد آبادي الملقب بالأفغاني، ولكن نفوذ الملالي وتدخل السافاك لصالح الماسونيين أجبر" رائين "على مغادرة إيران والإقامة في لندن.

وحينما جاء " بختيار إلى الحكم وأعلن عن حل السافاك عاد " رائين " إلى طهران، وكان يتوهم أنّ الأجواء مناسبة لإصدار الجزء الرابع من كتابه.

إلا أن تطورات الأحداث وبمجيء " الخميني " إلى الحكم والإشاعات التي أحاطت بكتاب "رائين" أدت إلى مصادرة الكتاب الذي لا يزال قيد الطبع وعندما بلغ النبأ "رائين" توجه إلى المطبعة ولم يعد.

لا أحد يعرف ماذا حدث هناك، فقد ظهر إعلان صغير في الصحف يشير إلى وفاة "إسماعيل رائين" في المطبعة متأثراً بنوبة قلبية.

أين كتاب "رائين"؟ ما هي الوثيقة السرية التي تمكن "رائين" من الحصول عليها في "لندن" وما هو دور بعض الملالي بدءاً من "جمال الدين الأفغاني" إلى هاشمي رفسنجامي" في الحركة الماسونية العالمية المعروفة بارتباطاتها الخفية بالصهيونية والاستعمار؟ هذه الأسئلة سيجاب عليها بالقدر المتوفر من الوثائق.

بعد مضي ثلاثة أسابيع على مجيء "الخميني" إلى الحكم، نشرت إحدى الصحف الثورية في طهران وثيقة خطيرة تحتوي على أسماء بعض الملالي من أصحاب السلطة في النظام الجديد وهم من الذين كانت لهم صلات بالحركة "الماسونية "في إيران. ولم تمض ساعات على ظهور الصحيفة حتى صدرت الأوامر بمصادرتها وإغلاق مكاتبها، ولكن الحادث أحدث هزة كبرى بسبب نشر أسماء الملالي الأعضاء في المحفل الماسوني.

وأخطر من هذا و ذاك، تسمية " المحفل الماسوني "المذكور باسم "المحفل الإسلامي" بدلاً من محفل جمال الدين أسد آبادي الملقب بالأفغاني.

وقد طرحت عدة أسئلة في ذلك الوقت فيما يتعلق بماسونية الذين ذكرت أسماؤهم في الوثيقة، وخصوصاً **جمال الدين أسد آبادي** أي جمال الدين الأفغاني، وطرح أحد الصحفيين في ذلك الحين، سؤالاً على آية الله "شريعة مداري" عن كيفية دخول الملالي إلى المحافل الماسونية، ورد "**شريعة مداري "على السؤال قائلاً:** "حتى عند ربنا هناك ملاك هو "الشيطان" رفض طاعة الخالق وأصبح متمرداً على حكم الله، فكيف لا تتوقع أن يكون هناك متمرد على الله بين الذين يسمون أنفسهم علماء الدين".

الوثيقة السرية:

الوثيقة السرية كانت عبارة عن رسالة مرسلة من " الدكتور أحمد علي آبادي "الأستاذ الأعظم في المحفل الماسوني الأعظم في طهران، وصاحب درجة المرشد الممتاز" والرابط المهتدي" إلى المهندس "جعفر شريف إمامي" رئيس الوزراء الإيراني الأسبق ورئيس مجلس الشيوخ السابق، والمسؤول عن كل المحافل والمراكز الماسونية في إيران.

وفيما يلي ترجمة الوثيقة:

الأخ العزيز "شريف إمامي الأستاذ الأعظم: تفخر القيادة الموقرة بتقديم قائمة بأسماء المحفل الإسلامي السري أرسلها الأخ "آربروس" الأستاذ الأعظم وحامل الحبر في لندن إلى محفل إيران. وكما تعرفون فإن المحفل المذكور تأسس من أجل المرحوم السيد جمال الدين الذي كان على رأس المحفل الإسلامي ويساعده في ذلك محفل لندن والأستاذ السير " ادوارد كري"

وقد تم تغيير اسم هذا المحفل إلى المحفل" الإسلامي" واتفق أن تكون أسماء أعضائه سرية.

ويضم المحفل الأخوة رجال الدين: طباطبائي مطهري، المرحوم السيد أبو القاسم كاشاني، المرحوم محمد خالقي زاده، موسوي زنجاني، موسوي أردبيلي، علي خامنئي، رباني شيرازي كرمي، المرحوم نواب صفوي، المرحوم حسن واحدي، هاشمي بهرماني رفسنجاني، صادق خلخالي، علي قدوسي، دستغيب الشيرازي، محمد بهشتي، خسرو روحاني، محمد نصيري، محمد جابني، خليل طهماسي مرتضى نشراد، منوجهربياني، توانا يانفرد، رضى أصفهاني، باقر مايلي، محمد فكري، مصطفى كتيرائي، هاشم صباغيان، علي أكبر كربامي غير اسمه إلى معين فر، صادق طباطبائي، محمد يزدي حفيد المرحوم بنان الملك، سيد نور الدين سادات هندي، حاج مهدي بانيان، صادق طهراني، مهدي جاويد، حاج مهدي عراقي، رضا صدر والأخوة ولي الله قره ني، قاسم ظهير نجاد، محمود أميني، حجازي، مجللي فريود، تقي رياحي، حسين فردوست من العسكريين المخلصين للإسلام والأخوة العالمية، نمتنع عن إعطاء هوية بعض الإخوة.

المخلص: أحمد علي آبادي.

هذه ترجمة نص الوثيقة، ولكنها ليست الدليل الوحيد على ارتباط بعض الملالي وأتباعهم بالماسونية العالمية، كما أن الأسماء الواردة في الوثيقة لا

تشكل في حد ذاتها اللائحة الوحيدة الخاصة بأسماء الماسونيين الذين يحملون صفة دينية. والواقع إننا إذا درسنا وثائق الخارجية البريطانية في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فسنكتشف أن " محفل الإسلام الأعظم " تأسس قبل مائة وعشرين عاما بموافقة المحفل الماسوني " محفل اسكتلندا " الذي ترأسه وزير الخارجية البريطاني آنذاك. وهذا المحفل أقام فروعاً في البلاد العربية والإسلامية أشهرها في مصر، وقد ترأسه جمال الدين أسد آبادي الملقب بالأفغاني. والسؤال هو: ما دور جمال الدين الأفغاني في الماسونية العالمية ولماذا يدافع الخمينيون عن أفكاره ويطلقون عليه لقب " أب الثورة " وهل كانت " الجمهورية الإسلامية " "الحلم المنتظر" عند جمال الدين ومحفله الماسوني؟

لا بد للإجابة على هذه الأسئلة من أن نبدأ دراستنا حول جمال الدين الأفغاني وتلامذته من حكام طهران الذين يتعاون معظمهم مع الماسونية العالمية التي لا يختلف اثنان على أنها حركة استعمارية معروفة لا تحتاج إلى تعريف.

عضوية جمال الدين في تسعة محافل

سيد جمال الدين حسين أسد آبادي الملقب بالأفغاني هو من الماسونيين الإيرانيين الأوائل، وقد كان عضواً في تسعة محافل ماسونية.

بدأ جمال الدين علاقاته مع الماسونية العالمية بالتعاون مع "فرامو شخانه ملكم": فراموش "بالفارسية معناها النسيان "خانه" معناها البيت "فراموشخانه" بمعنى"بيت النسيان"أما"ملكم "MALCOM فهو ديبلوماسي إيراني عين بمنصب الوزير الإيراني الخاص في لندن في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومنحه ناصر الدين شاه القاجار لقب" برنس أو "الأمير".

"ملكم" هذا، أسس في لندن أول "محفل إيراني" ومنح جمال الدين الأفغاني لقب "الأستاذ الأعظم" حينما وصل الأخير إلى لندن واستأجر شقة في حي "نوتينغ هيل غيت" بالقرب من المحفل الماسوني "بيت النسيان".

هنا بدأ جمال الدين حياته كماسوني وأصبح عضواً في محفل "كوكب الشرق "في القاهرة ومحفل" مارينى الإيطالي "ومحفل" المجتمع الوطني التاسع للشرق "ومحفل" اسكتلندا "ومحفل" النيل " وكلها في القاهرة، ومحفل" الشرق الأعظم"، في باريس، ومحفل "الإيمان" بانكلترا ومحفل " سنسير أميته " في استانبول " وأصبح رئيساً لمحفل " الشرق الأعظم في استانبول فيما بعد.

كان اسم جمال الدين الأفغاني يتغير في كل مرة يدخل بلداً وهكذا انتسب إلى تسعة محافل ماسونية ولو دققنا في أحواله فسنكتشف أنه غير حتى هويته

وجنسيته مرات عدة. وفي مجموعة الوثائق الخاصة بالأفغاني، يذكر جمال الدين بنفسه ألقابه وأسماءه التي زاد عددها على العشرين و فيما يلي قائمة ببعضها:

١- جمال الدين الاسطنبولي

٢- جمال الدين

٣- جمال الطهراني

٤- جمال الدين أسد آبادي

٥- جمال الدين حسيني عبد الله بن عبد الله

٦- جمال الدين الحسيني الاسطنبولي

٧- جمال الدين الأفغاني

٨- جمال الدين الكابلي

٩- جمال الدين الحسيني الرومي

١٠- جمال الدين طوسي

١١- جمال الدين أنقره أي

بعد أربعة أعوام تمكن جمال الدين الأفغاني من أن يصبح رئيساً لمحفل "كوكب الشرق " في القاهرة.

الوثائق تشير إلى أن واقعة رئاسته لهذا المحفل محفوظة حالياً في مركز التوثيق التابع لجامعة طهران. وقد جرت العادة بأنه عندما يموت الماسوني تصبح وثائقه ملكاً للمحفل الذي كان عضواً فيه، إذ يتم تكليف سكرتير المحفل بتجميع وإرسال كل الوثائق إلى المحفل، ولكن جمال الدين الأفغاني الذي لم

يتزوج " كانت علاقاته مع فتيات وعشيقات، لم يملك بيتاً ولم يخلف وريثاً بل مات مشرداً. لقد ترك الأفغاني أوراقه عند أحد تلاميذه الذي قام على خدمته طوال حياته، واسمه " أبو تراب " وهذا التلميذ قام بدوره ببيع الوثائق إلى الأمير **ظل السلطان ابن ناصر الدين شاه** في باريس.

وقدّم الأخير هذه الوثائق إلى المجلس الوطني الإيراني، ثم تم نقلها إلى جامعة طهران في عهد الملك بهلوي الأول. وهناك وثائق أخرى عن جمال الدين يحتفظ بها في طهران أحد مريديه ويدعى"حاج أمين الضرب". في إحدى هذه الوثائق رسالة من "نقول سكروج" الذي كان سكرتير محفل" كوكب الشرق" وهذا نصّها:

"محفل كوكب الشرق" رقم ١٣٥٥

القاهرة في ٧ يونيو ١٨٧٨ \ ٥٨٧٨

الأخ جمال الدين المحترم:

"معلوم لديكم بأنه في جلسة ٢٨ الشهر الماضي وبأغلبية الآراء تم انتخابكم رئيساً محترماً لهذا المحفل في العام الحالي، ولذا نهنئكم ونهنئ أنفسنا بهذه المناسبة العظيمة.

وباسم الرئيس الحالي المحترم أدعو إخوتكم للحضور إلى هذا المحفل يوم الجمعة القادم ١١ الجاري الساعة الثانية بعد الغروب، من أجل استلامكم " شارة الماسونية " بعد إتمام ما يجب من شعائر التكريس التي ستجري يوم الخميس العاشر من الشهر الجاري الساعة ٦ إفرنجي مساءً تكريماً للرئيس المحترم لمحفل كونكوردية. إن حضوركم ضروري في اليوم المذكور

للاشتراك في الاحتفال وفي الحالتين يجب أن تكون ملابسكم سوداء ورباط العنق والكفوف بيضاء واقبلوا منا العناق الأخوي". أمين السر نقول سكروج.

في احتفال تعيين جمال الدين الأفغاني رئيساً لمحفل "كوكب الشرق" ألقى خطاباً هاماً، نشر فيما بعد في إيران، مع أربعة خطابات أخرى في كتاب "حياة سيد جمال الدين الأسد آبادي بقلم مرتضى مدرسي، وفيه يخاطب جمال الدين الحاضرين في المحفل بقوله: " لا أتصور أن الأوهام والخيالات يمكن أن تدخل محافلنا العظمى ذلك لأنّ كل الحركات العقلانية وكل المراكز والقوى التحررية تنبعث من عقيدتنا الماسونية، العالمية، ومنها الذين يمتلكون الآلات والأدوات للبناء الأعظم. إني أعلن لإخواني البنائين بأنه مالم تقوموا بواجباتكم لإنشاء حكومة **الزاوية القائمة** فسوف يمتلئ العالم بالفساد والطغيان وبعد أن يشرح جمال الدين نظريته في مسألة الإنسان والحيوان والحياة الاجتماعية لأعضاء المحفل يختتم خطابه بهذه الإشارات:

قالوا إن الإنسان حيوان ناطق له صفات متمايزة عن باقي الموجودات، فمثلاً قالوا أن الإنسان يضحك حينما يموت، ولكن نحن نختلف مع باقي الموجودات بسبب إيماننا بالماسونية، والذي ينتسب إلى فرقة البنائين الحرة سيكون دليله أحد أشعار شاعرنا" حافظ الشيرازي" الذي يقول: "لم أصل إلى المنزل الأعلى والعالم الآخر بنفسي بل كنت على الطريق فوق أجنحة طائر سليمان"

ويقصد "حافظ " بذلك أنه لم يكن ليصل إلى الملكوت لو لم يكن عضواً في سلك البنائين لقد دخلت في هذا المحفل الشريف لإيماني بأهدافكم في المساواة والأخوة العالمية، ولسعيكم لخدمة الإنسانية واستقرار العدالة الاجتماعية.

أيها الأخوة البناؤون: "سيد جمال الدين لا يريد الرئاسة، فلقب الماسوني إليه هو أشرف ألقابه ولا يريد جمال الدين الرئاسة لأغراضه الشخصية، وأنا أتعهد لديكم بأن أكون ماسونياً شريفاً"

كل الذين يستمعون إلى أقوال جمال الدين ومنهم " توفيق باشا" خديوي مصر أدركوا أن الأفغاني ليس مجرد مدرس لعلوم الفلسفة أو معلماً بسيطاً. بل هو رجل يحلم بزعامة العالم الإسلامي وله أحلام أوسع من حلم مدرس الفلسفة. وحينما أراد الماسونيون في مصر أن ينتخبوا أستاذا أعظم، سعوا إلى جمال الدين وطلبوا إليه قبول المنصب.

في ذلك اليوم رفض جمال الدين قبول المنصب قبل أن يلتقي بالخديوي "توفيق" الذي كان أستاذا أعظم وحينما نمى إلى الخديوي نبأ ترشيح جمال الدين لمقام الأستاذ الأعظم رحّب بلقائه وتم اللقاء في القاهرة في قصر الخديوي وكتب جمال الدين ما دار في هذا اللقاء في رسالة أرسلها إلى الأمير " ملكم خان " رئيس " بيت النسيان " في لندن.

وجاء في الرسالة " لقد قمت بزيارة صاحب السمو الأمير المعظم الخديوي توفيق باشا حسب الأمر، ويوم أمس الأول قال الخديوي فور

وصولي: "إنني أريد الخير والسعادة والنمو والرقي لـشعبي ولكـن أكثريـة المصريين جهلاء للأسف.. ولا أعرف كيف أجبرهم على القيام بواجباتهم"

قلت في ردي على الخديوي: اسمحوا لي أن أتكلم بصراحة. إن الجهل مرض مزمن له جذوره في كل بلاد المشرق وليس في مصر فقط، ولكن لك حـظ أكبر من بقية ملوك المشرق.

فهناك علماء وشرفاء يحبونكم و ينظرون إليكم بالاطمئنان والاحترام. لو قبلتم نصائح المخلص فسوف تشهدون قريباً اعتلاء الشعب المصري سدة العظمة. فعجلوا يا مولاي بإعطاء الشعب حق التصويت الحقيقي وأمروا بالانتخابـات الحرة، فسوف يقرر مندوبو الشعب ومندوبكم أساس الدستور وهنـا يـستقر سلطانكم وحكومتكم.

استمع الخديوي إلى أقوالي، وأدركت أنه ليس في حالة بهجة وسرور كما كان في بداية اللقاء".

ووفقا لما كتب "مرتضى مدرسي" حول حياة جمال الدين، كان الأفغـاني يريد من خديوي مصر أن يسند إليـه منـصب رئاسـة المجلـس الـوطني المصري، ولأن الخديوي كان عارفاً بـأحلام الأفغـاني، رفـضه ورفـض نصائحه. وهذا يفسر قيام الأفغاني بالهجوم على الخديوي توفيق باشـا فـي المساجد والمحافل في القاهرة، وبسبب عضوية توفيق باشا في محفل ماسوني آخر وحمله لقب أستاذ أعظم فقد اعترض على أعمال جمال الـدين وأرسـل رسالة إلى المركز العالمي للماسونية في لندن. وهنا جاء الجـواب، خلافـاً

لتوقعات توفيق باشا ولأن المركز دافع عن الأفغاني وأمر الخديوي بـــالتقرب من الأفغاني.

ولكن لم يمض على هذه الرسالة طويلاً حتى أبـــدى الـــسفير البريطـــاني استياءه من أعمال الأفغاني فوجه رسالة إلى وزارة الخارجية **وأمر الـــوزارة بوقف المبالغ التي كان يتلقاها من الإدارة البريطانية.**

وهناك وثائق عن العلاقات السرية بين الأفغاني ووزير الخارجية البريطانية حامل لقب "الأستاذ الأعظم" ويعود تاريخها إلى نفس الفترة.

ولا شك أن جمال الدين كان على اتصال دائم ببعض البريطـــانيين وقـــام بالتظاهر بالنضال ضد بريطانيا بأمر من وزارة الخارجية البريطانية وشاهدنا على ذلك تقرير من "جيمز رابنسون" مستشار وزير الخارجية البريطانية الذي كتب إلى وزير الخارجية قائلاً:

"وصلتني رسالة السيد العزيز يوم أمس ويبدو أنه يعيش في أوضاع اقتصادية صعبة وحياته غير ميسورة في القاهرة. وهو يتهم رجالنا بعدم دفع راتبه عن شهر ابريل، أرجو من سيادتكم إصدار الأوامر إلى الـــسيد " تـــشارلي" فـــي القاهرة لدفع خمسمائة جنيه إلى السيد جمال الدين، لأنه أصدق أصدقائنا هناك ولا يمكن نسيان خدماته لحكومة جلالة الملكة".

وعلى أساس رسالة جمال الدين إلى الأمير "ملكم خـــان " وصـــله مبلـــغ خمسمائة جنيه ولكنه ليس بالخادم البسيط الذي يمكـــن إســـكاته بخمـــسمائة جنيه، ولهذا السبب نشاهده يخطب ويهاجم الإدارة البريطانيـــة فـــي مـــصر ويحمس الشعب المصري على الثورة ضد الإدارة البريطانيـــة. وسنكتـــشف

كيف استفادت بريطانيا من صورة الأفغاني الجديدة " أي مناضل ضد بريطانيا "فيما بعد.

كان جمال الدين رئيساً و أستاذاً أعظم في محفل "كوكب الشرق " ويعرف حدود سلطة بريطانيا في الشرق، وكان واقفاً على كل الأسرار ولهذا السبب لا يمكن أن يكون ارتباطه مع ثورة " المهدي " في السودان و"أحمد عرابي باشا " في مصر قد حدث بطريق الصدفة، وحتى اتصالاته مع " أديب اسحاق" و "سعد زغلول" و"محمد عبده" مفتي مصر لم تكن بطريق الصدفة أيضاً، بل هناك تقارير عن رسائل سرية بعث بها الأفغاني إلى وزارة الخارجية البريطانية في أعقاب كل مرة التقى خلالها بأحد هؤلاء الكبار.

ونضرب على ذلك مثالاً بتقرير أرسله جمال الدين إلى وزارة الخارجية البريطانية في مايو ١٨٧٨ نشر في الكتاب الأزرق لوزارة الخارجية الإيرانية عام١٩٦٢م وفيه يتحدث جمال الدين للبريطانيين عن لقائه برجل يدعى" هادي الصادق " وهو أحد أنصار "المهدي" الذي كان يحمل رسالة من "المهدي" إلى جمال الدين داعياً إياه لزيارة السودان وفي ذلك التقرير يكتب الأفغاني بالشيفرة ما جاء في رسالة المهدي .. مسرباً محتوياتها إلى البريطانيين.

طوال أربعة أعوام من رئاسة جمال الدين الأفغاني لمحفل "كوكب الشرق" اتصل ببعض المحافل الماسونية الأخرى في مصر وحضر جلساتهم وبين الوثائق الخاصة بالأفغاني في مركز الوثائق بجامعة طهران والمجلس

الوطني الإيراني، وثيقة تشير إلى أن الأفغاني كان زائراً أعظم في المحافل الماسونية التالية طوال إقامته الأولى في القاهرة:

١-المحفل الأعظم في مصر GRAND LODGE OF EGYPT

٢- محفل مازيني الإيطالي LODGE MAZZINI

٣- محفل النيل: NILE LODGE

٤- المحفل اليوناني والذي كانت اليونانية والفرنسية اللغات الرسمية فيه.

وبين الوثائق الخاصة بالأفغاني هناك أربع رسائل من محفل مازيني الإيطالي وهذا المحفل كان تابعاً لمنظمة الأسرة العالمية الإيطالية.

MASSONERIA UNIRESALE FAMILIN ITALIANA

وهي منظمة تضم بين أفرادها عصابة المافيا وينفرد عن بقية المحافل العالمية. (وهناك كتاب عن ذلك المحفل اسمه ITALIAN FAMILY نشر في العام الماضي بروما يكشف عن عصابة المافيا وعلاقاتها بالماسونية وهناك أسماء أكثر من ألفي سياسي واقتصادي إيطالي وكلهم أعضاء في المنظمة.

الوثائق تشير إلى أن الأفغاني كان على صلة بالمحفل الإيطالي من عام ١٨٧٧م حتى عام ١٨٧٩م في مصر.

وقد كان يتكلم في هذه المحافل بالعربية أو بالفرنسية. وفي كل الوثائق ما يشير إلى أن رئيس المحفل كان يدعو صديقه الأفغاني بلقب" جمال الدين أفندي الأستاذ الأعظم".

وفي هذه الفترة يبدل جمال الدين لباسه من لباس علمـــاء الـــدين فيـــضع الطربوش وربطة العنق ويصبح الأستاذ جمال الدين باشا، أو الأستاذ جمـــال الدين أفندي.

لم تكن اتصالات الأفغاني محدودة بعضويته في المحفل الماسوني الإيطالي أو محفل كوكب الشرق "بل كان متصلاً بجميع المحافل والمجامع الـــسياسية والدينية في مصر وإيران وتركيا العثمانية. كما كان الأفغاني عضواً في أكثر من أربعة محافل ماسونية في آن واحد.

وكان بعض هذه المحافل يبدو في الظاهر مناهضاً للمحفل الآخر.

في العام الثالث من إقامته في مصر انضم جمال الدين الأفغاني إلى محفل الشرق الإيطالي حيث دعي لإلقاء كلمة فـــي مـــأتم أحـــد أســـاتذة المحفـــل "روبرتوبريلي"

محفل نيل:

محفل ماسوني آخر انضم إليه جمال الـــدين، هـــو محفـــل " نيـــل" التـــابع لـــ " جرائد لوج انجلترا " ومن بين الوثائق المتعلقة بالأفغاني هناك تقـــارير ورسائل عدة موجهة إليه من قبل رؤساء المحفل المذكور. وعلى سبيل المثال هناك رسالة من "هوج لوزينا" رئيس المحفل إلى جمال الدين الأفغاني يدعوه فيها للإشتراك في مراسم تأبين "فيلجيا ردي" المحامي و"مايكل بوجوكي" وفي هذه الرسالة يؤكد " لوزينا" رئيس المحفل أن حضور الأفغـــاني فـــي جلـــسة التأبين هو أمر ضروري، إذ لا يمكن أن يقبل المحفل بعضوية الرجلين فـــي غياب الأفغاني.

الأفغاني والمحفل الوطني:

بعد أربعة أعوام من العضوية في محفل "كوكب الشرق "والوصول إلى مقام الأستاذ الأعظم ورئاسة المحفل، تم طرد الأفغاني من هذا المحفل بأمر من المحفل الأعظم في انكلترا. وقد كتب "فرانك لاسل" القنصل والمندوب السامي البريطاني في مصر في رسالته إلى وزير الخارجية البريطانية حول أسباب طرد الأفغاني من محفل " كوكب الشرق " أوضح فيه أن أسبابه ليست سياسية وإنما يعود إلى **إلحاده الطني.**

وبالمقابل لم يوضح الأفغاني أسباب خروجه من محفل "كوكب الشرق" ولم يكتب أحد من تلاميذه أو أتباعه كلمة في هذا الموضوع. وعلى أية حال، أرسل الأفغاني رسالة إلى "محفل الشرق" الأعظم في فرنسا ومحفل" اسكتلندا" يطلب فيها السماح له بتأسيس محفل مستقل.

وعلى الرغم من أنه ليست هناك إشارات إيجابية أو سلبية في رد المحفلين المذكورين على رسالته هناك إشارات تدل على تأييدها للمحفل الوطني المصري الذي أسسه جمال الدين الأفغاني.

وهناك من يرى كما هو الشأن في الأستاذ الأعظم " تقي زاده " في كتابه حول حياة الأفغاني: "إن المحفل الوطني المصري كان يسمى بـ" المحفل غير المتمدن" وبعد تأسيس هذا المحفل الوطني، ادعى جمال الدين الأفغاني أنه هو مؤسس الماسونية الحقيقي في مصر ولكن هذا الإدعاء غير

حقيقي، لأن الأفغاني كان عضواً في محفل كوكب الشرق ومحفل آخر في مصر قبل تأسيس المحفل الوطني.

ومن بين الرسائل التي بعث بها جمال الدين إلى صديقه " الأمير ملكم خان "مؤسس "بيت النسيان" هناك رسالة طويلة يشرح فيها الأفغاني أهدافه من تأسيس المحفل الوطني يقول فيها: "عزيزي الأمير..

لقد قمت بتأسيس هذا المحفل الكريم بسبب ضرورة تأسيس مركز يقوم بتوحيد المسلمين و أهدافي ليست بعيدة عن أهدافكم:

١- التوحيد بين الملل والقبائل الإسلامية ونشر روح الأخوة والوحدة.

٢- إضعاف سلطة العلماء المسلمين وخاصة الذين لا يتبعوننا.

٣- إثارة الإيرانيين ودفعهم للقيام بتحرك ضد ناصر الدين شاه والقيام بدور مماثل في أقطار أخرى.

٤- طبع ونشر كتب ورسائل سرية ضد المعتقدات الدينية بما فيها الحج في نهاية رسالته إلى "ملكم خان" يطلب الأفغاني من صديقه أن يقوم بدور الوسيط بينه وبين بعض الشخصيات في وزارة الخارجية البريطانية بعد أن أوقف راتبه، ولا بد أن نذكر في هذا السياق أن جمال الدين يعلن في بداية رسالته إلى "ملكم خان" أن أهدافه قريبة منه. وإذا عرفنا أن "ملكم "كان يتظاهر بالإسلام، فسيتضح ما إذا كان "ملكم والأفغاني" قد سعيا لإسقاط الخلافة العثمانية وناصر الدين شاه في إيران لأسباب لا علاقة لها بحركة التحرر.

ويعتقد "مرتضى مدرسي" مؤلف كتاب "حياة رجال المشرق": "إن جمال الدين وأعضاء المحفل الوطني أصبحوا أخوة بالدم وأقسموا أن ينهجوا منهج الأفغاني وأفكاره، وكان الأفغاني ينظر إلى المحفل ليس على أنه محفل ماسوني بل على أساس أنه يضم مجموعة من الفدائيين المؤتمرين بأمره "حتى أنه طلب من خادمه أن يسميه بـ" صاحب كلمة الموت والحياة ".

ليس بين الوثائق الخاصة بالأفغاني أي إشارة إلى استمرار علاقاته بالماسونية طوال إقامته في الهند بعد إبعاده من مصر ولكن في عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٢م وصل الأفغاني إلى باريس فوافق محفل "الشرق الأعظم" مرة أخرى على قبوله عضواً في المحفل. وكما قلنا من قبل لم يكن المذهب أو الجنسية ذا أهمية في هذا المحفل. ولهذا السبب كان الأفغاني المسلم الإيراني يجلس مع " جان فوريه الشيوعي الفرنسي و"ديويد أبار" اليهودي المتطرف النمساوي.

اشترك الأفغاني في جلسات ذلك المحفل وأصبح قريباً من رئيسه "لانجاسه" حتى وصول "بولنت" المستشرق البريطاني وأحد جواسيس الإمبراطوريه الذي قام بأدوار هامة في الشرق الأوسط إلى باريس. وفي باريس التقى الرجلان ودعاه "بولنت" لزيارة لندن والتشرف بزيارة جلالة الملكة فقبل الأفغاني توصيات "بولنت" وسافر إلى لندن معه.

وبعد لقائه بجلالة الملكة فتحت أمامه الأبواب المغلقة. وحسب الوثائق الموجودة في مجلس الشورى الإيراني، انضم الأفغاني إلى محفل "الإيمان"

وهو من أقدم محافل الماسونية ولم تكن عضويته ميسورة لغير "اللـــوردات "و" الأمراء" البريطانيين. يبدو لي أن الأفغاني كان لورداً وأميـــراً بريطانيـــاً حتى دخل محفل "الإيمان" ولكن المحفل استقبل الأفغاني وأعطاه لقب الأستاذ. بعد أن وصلت إلى المحفل رسالة من مدير المراسم في القصر الملكي وفيـــه إشارة إلى " الاحترام والحب الذي تكنه جلالة الملكة لقائد المسلمين صـــاحب الفخامة الأستاذ جمال الدين الأفغاني بسبب ارتباط محفل "الإيمان" بالمحفـــل العالمي الملكي تمكن الأفغاني من الاتصال بالرجال واللوردات البريطـــانيين فـــي جلـــسات سـرية فـــي مركـــز المحفـــل فـــي SION COLLEGE VICTORIA EMBANKRENET, وكان موعد الجلسات على أســـاس التقويم الماسوني:

الخميس الثالث من كل شهر.

الثلاثاء الرابع من كل شهر.

الأربعاء الرابع من كل شهر.

وفي أعقاب ذلك أصبح جمال الدين الأفغاني عضواً كبيراً في أعظم محفل ماسوني في العالم **حيث لقن في بريطانيا الأدوار التي لعبها فيما بعد.**

كثير من العرب، وحتى المثقفون والدارسون منهم أخطأ في تقيـــيم دور جمال الدين الأفغاني في أحداث المنطقة في نهاية القرن الماضي وبداية القرن العشرين. والدليل على هذا الخطأ عدم اضطلاعهم على اللغة الفارسية التـــي كتب الأفغاني و نشر بها غالبية كتاباته. بالإضافة إلى التقارير التي تتعلق به

وما نشر حوله بالفارسية. ومن بين خمسة وثلاثين كتاباً ودراسة كتبها الأفغاني لم يكن أكثر من (١٢) كتاباً ودراسة باللغة العربية.

أما معظم هذه الدراسات فقد كانت بالفارسية و"الأردية" وذلك نتيجة للفترة التي أمضاها الأفغاني في الهند. لقد كان هناك إجماع بين المثقفين العرب حول اهتمام الأفغاني بالعروبة وإيمانه بالوحدة العربية كسلاح تجاه الاستعمار.

ولو أن المثقف العربي اضطلع على المصادر الفارسية أو حتى التركية فسيتمكن من قراءة آثار الأفغاني التي تشير إلى قوميته الفارسية.

في أول مرة التقى الأفغاني بالإمبراطور الإيراني ناصر الدين شاه كان ذلك في لندن خلال زيارة الإمبراطور الأولى إلى العاصمة البريطانية وفي هذا اللقاء الذي تم في دار السفارة الإيرانية في لندن قدم الأمير "ملكم" السفير الإيراني صديقه جمال الدين الأفغاني إلى الإمبراطور وقال يصفه: "إنه أعظم الحكماء المعاصرين وأكبر العلماء والفلاسفة في العالم الإسلامي. والآن يريد هذا الحكيم أن يخدمك يا جلالة الملك، وإذا أذنت أعطيته ما يريده فسوف يسهل عليك القبض على السلطة في العالم الإسلامي والحصول على لقب خليفة المسلمين.

بعد الاستماع إلى كلام الأمير "ملكم خان " تصافح ناصر الدين شاه مع جمال الدين الأفغاني وهنا خاطبه الأفغاني قائلاً: " أيها الملك المعظم لقد عبرت نصف الأرض، والعالم الإسلامي بأكمله، وبسبب إيرانيتي وإيماني بجلالتكم، أحلم أن أقدم لكم تجاربي وعلومي.

إنكم أعظم من السلطان العثماني والخديوي المصري وأحق منهما بأن تكونوا خليفة المسلمين. ومسيرة هذه الخلافة لن تكون صعبة لو أعطيتموني مهام الدليل على الطريق فأنا لا أريد شيئاً سوى أن أكون إلى جواركم والتقرب منكم ليلاً و نهاراً "

تأثر ناصر الدين شاه كثيراً من أقوال الأفغاني وحينما عاد إلى طهران طلب من " محمد حسن خان " اعتماد السلطنة وزير المراسم والأعلام وأحد أصدقاء الأفغاني الذي كان ماسونيا وعضواً في "بيت النسيان" أن يتصل بالأفغاني وأن يدعوه إلى طهران.

وصل الأفغاني إلى طهران عن طريق " بوشهر" في عام ١٨٨٢ وأقام في بيت أحد الأساتذة الماسونيين وهو " الحاج أمين الضرب" وهنا خصص الشاه جعالة خاصة له وقدم إليه الخلعة والخاتم الماسي، وكان الأفغاني يزور قصر "غولستان" يومياً لزيارة الشاه، وفي تلك الأيام كان الشاه يريد مقابلة المتمردين الأفغان الذين أعلنوا استقلالهم عن إيران بدعم بريطاني وقد أرسل ناصر الدين شاه جيشاً عظيماً مكوناً من أربع فرق مشاة معززة بالمدفعية إلى مدينة "هرات" بقيادة خاله "حسام السلطنة" وخلال ذلك وصلت إليه أنباء عن اتصالات الأفغاني السرية ببعض الأمراء والوزراء الإيرانيين والحصول على أخبار الجيش وخططه العسكرية ضد الأفغان، كما أخبر الشاه، أن الأفغاني يزور السفارة البريطانية في الليل مرتدياً الزيّ النسائي، أي "التشادور" غضب الشاه كثيراً وأمر رجاله بالرقابة على

الأفغاني وبعد ثلاثة أيام اعتقله **رجال الشاه لدى دخوله إلى السفارة البريطانية وعلى رأسه العباءة والنقاب النسائي.**

لم يعترف الأفغاني بدوره في التجسس لصالح بريطانيا، ولم يعتقله الشاه خوفاً من تهديد السفير البريطاني، ولكنه أمر، بدلاً من ذلك، بإبعاده من إيران. فسافر الأفغاني إلى " الأستانة عن طريق بغداد، والتقى بالسلطان العثماني وأخبره عن سلبيات ونقاط ضعف الحكومة والجيش الإيراني وحرضه على الهجوم على إيران واحتلال " أذربيجان". كما تحدث مع السلطان بنفس اللغة التي تحدث بها مع ناصر الدين شاه حول ضرورة الاستيلاء على إيران وأفغانستان وتكوين خلافة إسلامية من المحيط إلى أسوار الصين.

لقد كان في إيران فيلسوف إيراني ينادي بالإمبراطورية الإسلامية الشيعية بقيادة ناصر الدين شاه فأصبح عالماً إسلامياً" سنياً "يتكلم التركية في "الأستانة" وينادي بالخلافة الإسلامية تحت راية السلطان العثماني.

وبسبب اكتشاف أوراقه في اسطنبول، أجبر الأفغاني على مغادرتها والعودة إلى مصر، وهناك ظهر خطيباً عربيا وفيلسوفا إسلامياً يتحدث بالقومية العربية بقيادة مصر، وضرورة الدفاع عن التراث والقومية والثقافة العربية تجاه الهجوم التركي والفارسي ولكنه لم يلبث أن تمكن مرة أخرى من كسب ود الشاه الإيراني في عام ١٨٨٨م، حينما كان في فينا فقد التقى هناك بـ"ناصر الدين شاه "الذي كان في زيارة النمسا، ودعاه الشاه لزيارة إيران.

فسافر الأفغاني إلى طهران، ويبدو أن هناك من ذكر الشاه بأدوار الأفغـاني الماضية، فأبعد عن إيران.

ومن الملاحظ أن هذا الإبعاد يتزامن مع ابتعاد الشاه عن بريطانيا وتقربـه من روسيا القيصرية.

وعندما لم يتمكن الأفغاني من إثناء الشاه عن عزمه على مراجعة حساباته مع بريطانيا ولأن القوات الإيرانية وصلت إلى أفغانستان فعلاً وتمكنت مـن إبعاد المتمردين عن " هرات " أسندت بريطانيا إلى رجل المهمات الخاصـة أي الأفغاني مهمة القضاء على ناصر الدين شاه. وقد كـان الأفغـاني فـي اسطنبول عندما صدرت إليه الأوامر من لندن حول ضرورة اغتيال ناصـر الدين شاه، وسرعان ما هرع الأفغاني إلى السلطان عبـد الحميـد الخليفـة العثماني، وأخبره عن خطته لإغتيال ناصـر الـدين شـاه، منافـسة فـي الخلافة، فاستقبل السلطان هذه الفكرة بحماس، وأعطى الأفغاني ما يريد مـن مال.

كمـا قـدم لـه قـصراً فخمـاً فـي اسـطنبول، وعربـة مذهّبـة ومنحه لقب "أفندي". طوال تسعة أشهر تمكن الأفغاني من الإتصال بـبعض الوزراء والأمراء الإيرانيين المعارضين للشاه، كما أقام محفلاً سرياً لتدريب المخربين في اسطنبول.

وأحد الذين كانوا يترددون على المحفل كان رجلاً إيرانياً يدعى " ميرزا رضا كرماني " الذي تأثر كثيراً بأفكار الأفغاني، وبعد عـام مـن مجالـسة الأفغاني أسند إليه جمال الدين مهمة اغتيال الشاه.

سافر "ميرزا رضا كرماني" إلى طهران واتصل بأحد الملالي الماسونيين وهو "حاج شيخ هادي نجم أبادي" وأخبره بمهمته، وحاج شيخ هادي هو الرجل الذي وصفه الخميني في كتبه بلقب "أفقه الفقهاء" واستطاع بواسطة حاج شيخ هادي إعلام ميرزا رضا بموعد وصول الشاه إلى ضريح "عبد العظيم" رضي الله عنه أحد أحفاد الإمام حسن، المدفون في مدينة" ري "قرب طهران، واقترب ميرزا رضا من الشاه في يوم ١٧ ذي القعدة من عام ١٣١٢هـ وأطلق الرصاص عليه. فقتل الشاه فوراً واعترف ميرزا رضا فيما بعد بصلاته مع الأفغاني.

هل يريد المثقف العربي والدارس المسلم دلائل أخرى على هوية" الأفغاني " الحقيقية وعلاقاته ببريطانيا؟

أليس دوره في قتل ناصر الدين شاه في الوقت الذي كان يريد الشاه مواجهة بريطانيا في المشرق كافياً لإثبات تواطؤ الأفغاني مع الإنجليز.

هناك وثائق فارسية تشير إلى أن جمعية " العروة الوثقى" هي محفل سري مرتبطة بالماسونية، وقد أسسها الأفغاني أول مرة في "حيدر آباد" بالهند ثم في مصر وتونس وجريدة "العروة الوثقى" لسان حال الجمعية صدرت لأول مرة في باريس وهناك بعض التقارير المحفوظة في مركز الوثائق في طهران تتضمن رسالة من الشيخ محمد عبده بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٨٨٤م أرسلها من تونس إلى الأفغاني المقيم في باريس آنذاك وجاء فيها: لقد قمت باتصال مع العلماء التونسيين وأخبرتهم بأفكارك وشخصيتك العظيمة.

وقلت لهم أن العروة ليست فقط اسم الجريدة بل هي عنوان المحفل" الإسلامي" الكبير الذي تأسس في حيدر آباد، وأن له فروعاً في القاهرة وباريس كما أخبرتهم بعزمكم على تأسيس فرع للجمعية في تونس.

إنّ غالبية العلماء والأمراء التونسيين ومن بينهم الشيخ " ورستاني " والشيخ " أبو حاجب" كانوا في منتهى الاشتياق للانضمام إلى المحفل ولكنهم أرادوا السرية التامة وعدم إطلاع أحد على عضويتهم في المحفل بسبب حساسية الموضوع. أبلغتهم بسرية المحفل و التكتم على أسماء الأعضاء وعدم إطلاع أحد سواك وسوى الله.

مع الأسف لم أحصل على المال من أحد و أحتاج إلى بذل المال لكسب ود بعض العلماء. في الأمس زارني عشرة من علماء تونس ومن بينهم العلامة السنوسي. لو كنت هنا فقد تشاهد بنفسك مدى اهتمام الناس بنا **وكيف يشعر بعضهم بقدسيتنا وبارتباطنا بالغيب.** لو يدوم هذا الوضع فسوف نعلن جهادنا الأكبرمن تونس. أرسل رسالتك باسم "العربي بسيس" **من لا ينساك أبداً العبد محمد عبده.**

تمكن الأفغاني عن طريق جمعية العروة الوثقى أن يلعب بورقة " الإتحاد الإسلامي "مقابل" الوحدة التركية "و"الوحدة العربية" وفي تقرير سري كتبه اللورد" راندلف تشرشل "والد" وينستون تشرشل " الذي كان وزير المستعمرات إشارة إلى الحديث التالي بين الأفغاني و"تشرشل "حول مسألة" الإتحاد الإسلامي".

وقد جرى الحديث في مكتب تشرشل بمجلس الأعيان البريطاني في يوليو ١٨٨٥م لقد ذهب الأفغاني إلى تشرشل ومعه خطة"انتخاب خليفة للمسلمين".

الأفغاني: يا سيادة اللورد لقد وصلت إلى القناعة بأن الطريق الوحيد في التخلص من "القومية العربية"و "القومية الطورانية" هو إحياء فكرة الوحدة الإسلامية في نفوس الناس. ولأن أسباب هذه الوحدة غير موجودة لم يفكر أحد أن لكم يداً في هذه المسألة. فلو درسنا الموضوع بالدقة اللازمة فهناك، ملوك وأمراء مسلمون لا يحبونكم. ولو لعبنا بورقة الوحدة الإسلامية فسنتمكن من أن نقنع الناس بأن الملوك و أمرائهم هم الذين يعارضون الوحدة الإسلامية بين المسلمين، وبهذه الطريقة سوف نتخلص منهم، فالشعوب في المنطقة ستثور عليهم.

تشرشل: كيف يمكن اللعب بهذه الورقة حين يدعي سلطان عثماني بأنه خليفة المسلمين؟ ولو هناك دعوة للوحدة فمن هو أحق منه؟

الأفغاني: السلطان العثماني تركي أولاً ثم مسلم، وهذا هو مصدر ضعفه فالفرس والعرب لا يقبلون خليفة تركي، ولكنني أتكلم الفارسية والعربية والتركية، ولو عرضت عليهم فكرة الوحدة فلن يعترضني أحد. إنني عربي في مصر وأفغاني في الهند وإيراني في إيران وأفغانستاني وتركي في آسيا الصغرى هل هناك مانع من قيام بدور الداعي إلى الوحدة؟

هذا الداعي الذي جاهر بالوحدة الإسلامية **لم يصل ولم يصم في يوم من الأيام، كما كان على اتصال دائم مع اليهود طوال إقامته في باريس.** وفي

الفترة ما بين ١٨٨٣-١٨٨٥م كان اليهود المصريين الأثرياء الذين يعيشون في باريس يساعدون الأفغاني على إصدار جريدته "العروة الوثقى".

"جيمس سانوا أحد " اليهود الأثرياء الملقب في مصر بـ" أبو نظارة " دفع مئات من الفرنكات إلى الأفغاني لإصدار جريدة باسم " أبو نظارة " مباشرة أو عن طريق الاتصال بالأثرياء اليهود المقيمين في باريس.

وفي تقرير **بعث به " بلانكيت " السفير البريطاني في باريس آنذاك إلى اللورد "جراند نويل" وزير الخارجية البريطاني يشرح السفير لقاءه مع الأفغاني في حضور خمسة من أثرياء اليهود الذين يمتدحون الأفغاني. وكانوا يشربون الشامبانيا في صحة الإمام الأفغاني معاً.**

الصفحة الأخيرة من حياة الأفغاني تشبه نهاية كل الذين عاشوا في خدمة الأجانب. فبعد أن تمكن الأفغاني من القيام بدوره في اغتيال ناصر الدين شاه حاول القيام بمهمة اغتيال السلطان العثماني.

وفي نفس الوقت اتصلت بعض الدوائر البريطانية بالسلطان وأخبرته بخطة الأفغاني. لقد انتهت أدوار الرجل فلا بد إذن من التخلص منه. وهنا جاء الموت بواسطة السم. ويكتب "عبد الحسين الهمذاني " أحد تلامذة الأفغاني عن ساعاته الأخيرة على النحو التالي:

كان الإمام الأفغاني في قمة عافيته ولكن فجأة شكا من ألم في أسنانه فقمت بالاتصال بطبيب الأسنان الأفرنجي الذي كان يشغل منصب طبيب السلطان الخاص، جاء الطبيب ووضع دواء في فم الأفغاني. ولكن بعد دقائق من

رحيله، صرخ الإمام وطلب الماء وقبل أن أقدم له الماء رحل إلى الديار الأبدية وإلى لقاء ربه والله يرحمه لقد كان أكبر مما يمكن و صفه بالكلام.

مات الأفغاني ولكن ميراثه لم يمت، لقد كان ماسونياً وقد اقتدى به الكثيرون من الذين يلبسون لباس علماء الدين رياء. بمن فيهم تلامذته من حكام طهران وأقصد أعضاء "محفل الإسلام".

كان الأفغاني يتاجر بالدين، والآن يتاجر أعوانه بالدين كما فعل أستاذهم.

وأخيراً فالأفغاني لم يكن له "دين أو وطن أو هوية".

مصادر البحث عن ماسونية الأفغاني:

١. الماسونية في إيران تأليف إسماعيل رائين.

٢. مجموعة وثائق مجلس الشورى الإيراني.

٣. مجموعة وثائق مركز الوثائق جامعة طهران

٤. الأفغاني جورجي زيدان.

٥. حياة رجل المشرق، مرتضى مدرسي.

٦. جمال الدين أسد آبادي في منظار الآخرين تأليف أحمد الله كريمي.

٧. مجموعة وثائق وتقارير الأمير ملكم خان السفير الإيراني ببريطانيا

٨. مجموعة خطب جمال الدين الأفغاني " جامعة طهران "

٩. الكتاب الأزرق الصادر عن وزارة الخارجية الإيرانية عام ١٩٦٢.

١٠. رزنامة خاطرات " بقلم محمد حسن خان.

١١. مذكرات اللورد راندولف تشرشل في مركز الوثائق التابع لوزارة الخارجية البريطانية ١٨٠٠-١٨٩٠م

١٢. سيد جمال الدين الأفغاني كما أراه بقلم عبد الحسين الهمذاني

١٣. مجلة الدستور ع:٥، ٣٠ ٢٦ أيلول ١٩٨٣. /ع ٧./ ع٦: تشرين الأول ١٩٨٣. بقلم د. علي نوري زادة.

الفصل الرابع

الفصل الرابع:

الإستشراق

أطلقت كلمة الإستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلـــوم الشرقيين ولغاتهم وأديانهم وتاريخهم وأوضاعهم الإجتماعية.

وقد بدأ الإستشراق منذ دقت جيوش الفتح الإســـلامي أبـــواب أوروبـــا العريضة، وكان المسلمون احتلوا عرش السيادة الدولية، وملأوا سمع الزمان وبصره وقلبه وسائر مشاعره.

وأخذت أوروبا الغارقة في الجهل والتخلف الحضاري يومئذ تبحث عـــن أسباب نهضة المسلمين، وبلوغهم هذا المجد العظيم الذي بلغوه، وأخذت بعض رجال الكنيسة الأوروبيون يدرسون علوم هؤلاء الفاتحين ولغـــاتهم، لعلهـــم يظفرون بما يوقفون به الفتح الإسلامي، ولعلهم يكتسبون من علوم المسلمين ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم، ويفتح لهم أبواب الإرتقاء، فكان الإستشراق طلبا لعلوم الشرقيين ولغاتهم وأوضاعهم.

وفي أعقاب الحروب الصليبية، وضعت الخطة لغزو المسلمين بوســـائل أخرى غير وسيلة الحرب المسلحة بالأسلحة المادية، واقتضت خطة الغـــزو الجديد التوسع في الدراسات الاستشراقية لتكون تمهيداً لهذا الغزو.

ولما كان المحركون للحروب الصليبية من رجال الكهنـــوت الأوروبيـــين والعلوم العليا تكاد تكـــون منحصرة في الكنيسة لديهـــم يومئذٍ، كان أوائـــل

المتوجهين للدراسات الشرقية من هؤلاء الرجال، ولا ريب أن أغراضهم في ذلك تواكب أغراض الحروب الصليبية التي أخذت أهداف التبشير بالديانة النصرانية.

هذا وقد التقت في الإستشراق أهداف جمعيات التبشير وأهداف الدوائر الاستعمارية.

هذا وقد رأى اليهود الإستشراق باباً خطيراً من أبواب التسلل إلى البلاد التي يحلمون بالسيطرة عليها وفق طريقتهم ويريدون أن يتخذوا لأنفسهم صنائع فيها من أبنائها، فتخصص فريق منهم بالدراسات الشرقية وتابعوا المسيرة ضمن الخطط اليهودية حتى احتل اليهود عدداً وفيراً من كراسي الدراسات الشرقية في الجامعات الكبرى، وأخذوا يخدمون الأغراض اليهودية الصهيونية في هذا المجال تحت ستار خدمة أغراض المستشرقين وأغراض الدوائر الاستعمارية.

وقد بدأ الإستشراق بدراسة اللغة العربية والإسلام وانتهى – بعد التوسع الإستعماري الغربي في الشرق – إلى دراسة جميع ديانات الشرق وعاداته وحضارته وجغرافيته وتقاليده، وإن كانت العناية بالإسلام والآداب العربية والحضارة الإسلامية هي أهم ما يعنى به المستشرقون حتى اليوم.

هذا وأخطر أهداف الإستشراق في الأمة الإسلامية تحويل المسلمين عن دينهم وتقطيع أوصال جماعتهم الإنسانية الكبرى، وبثها إلى وحدات صغرى متقاطعة متنافرة متدابرة يقاتل بعضها بعضاً، ويصارع بعضها بعضاً.

ولم يترك المستشرقون وسيلة لنشر أبحاثهم وبث آرائهم، ولا وسيلة لأحكام خطط الكيد للإسلام والمسلمين إلا سلكوها.

وأستطيع القول إن الإستشراق والتبشير دعامتان من دعائم الإستعمار وعملاء الإستشراق والتبشير عملاء للإستعمار وخدّام لسياسته، وإن ظهروا بوجوه مقاومة الإستعمار، وتحرير البلاد معه، ولقد تقاسم التبشير والإستشراق والاستعمار جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين.

لم يكن المستشرقون يوماً ما ينصفون الحقيقة العلمية للعلم بل كانت أبحاثهم موسومة بصورة واضحة من أسس عقيدتهم، ومقاصدهم الخبيثة، ولقد سلك المستشرقون والمبشرون كل مسلك ظنوه محققاً لأهدافهم، واستطاعوا أن يتسللوا إلى المجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي بدمشق، والمجمع العلمي ببغداد كما تدخلوا بتأييد من الإستعمار في مجال التربية والتعليم لغرس مبادئ التربية الغربية في نفوس المسلمين.

الإستشراق وأجهزة المخابرات الغربية

لقد جندت الدول الاستعمارية المستشرقين والمبشرين كخبراء وجواسيس في جيوشها وبعثاتها الدبلوماسية المنتشرة في جميع بلدان العالم الإسلامي ومن أشهرهم:

١ –البروفوسور "أندرسون" رئيس قسم قوانين الأحوال الشخصية المعمول بها في العالم الإسلامي في معهد الدراسات الشرقية في جامعة لندن

وهو متخرج من كلية اللاهوت في جامعة كمبردج، وكان من أركان حرب الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية.

٢- رئيس قسم الدراسات الإسلامية والعربية في جامعة أكسفورد، وهو يهودي يتكلم العربية ببطء وصعوبة، وكان يعمل في دائرة الاستخبارات البريطانية في ليبيا خلال الحرب العالمية الثانية، وهناك تعلم العربية العاميّة، ثم عاد إلى بلاده إنجلترا ليرأس هذا القسم في جامعة أكسفورد.

٣- بلاشير وماسينيون: كانا يعملان في وزارة الخارجية الفرنسية كخبيرين في شؤون العرب والمسلمين.

إن هؤلاء المستشرقين لا يفهمون العربية ولا يحسنون النطق بها ومراجعهم الوحيدة التي يعتمدون عليها كتب: جولد تسهير، مرجليوث شاخت، وحسبك بهؤلاء عنواناً على الدراسات المدسوسة الموجهة ضد الإسلام والمسلمين.

وبعد جلاء جيوش المستعمرين عن بلدان العالم الإسلامي أسندت الولايات المتحدة الأمريكية وحليفاتها من الدول الغربية إلى المستشرقين المهمات التالية:

١- العمل كأساتذة وإداريين في جامعات مشهورة، يقصدها الطلبة من جميع بلدان العالم، بل وقد أصبحت بعض هذه الجامعات وكأنها وقف على أبناء كبار الأغنياء ورجال الأعمال، وأبناء علية القوم في دول العالم الثالث.

أما الأبحاث التي يكلف به هؤلاء الطلبة فتكاد لا تتجاوز الموضوعات التالية: المشكلات الطائفية والقومية، الصحوة الإسلامية، الثروات الإقتصادية، العادات والتقاليد، الصراع بين القديم والحديث، تحرير المرأة، المخزون الغذائي، الحركات الدينية المتطرفة.

٢-العمل كخبراء ومستشارين وباحثين في الشركات التجارية، والبعثات العسكرية والعلمية والأمنية والدبلوماسية في العالم الإسلامي.

وتتيح لهم هذه الوظائف المرموقة إقامة علاقات وطيدة مع زعماء الطوائف والأقليات، وقادة الأحزاب، وكبار أصحاب رؤوس الأموال، كما تتيح لهم جمع أدق المعلومات عن بلادنا.

وإرسالها إلى الكمبيوتر المركزي في وكالة الإستخبارات الأمريكية والبريطانية والفرنسية والسوفياتية والإسرائيلية ولا تزال وكالة الإستخبارات الأمريكية من أنشط وأخطر وكالات الإستخبارات في العالم.

ولم يعد سراً معرفة أعدائنا وإحاطتهم بأدق أسرارنا العسكرية والأمنية والاقتصادية كما أنه لم يعد سراً علاقاتهم المشبوهة مع زعماء الطوائف وقدرتهم على تحريك هذه الطوائف في أي وقت يريدون.

وبعد: فهذه هي اهتمامات المستشرقين وأدوارهم ومن المؤسف أن تلامذتهم يسوسون الأمور في كثير من الجامعات وغيرها في دول العالم الثالث بعقلية أساتذتهم وإن كانوا يقولون شيئاً آخر .

يقولون إنهم وطنيون لا سلطان لأحد عليهم، ويفعلون ما يأمرهم به أساتذتهم من زعماء البيت الأبيض والكرملين ودائرتي الاستخبارات

البريطانية والفرنسية، ولا يزال في أمتنا من يصدق هؤلاء الطلبة القادة ويثق بهم.

هذا وقد نجح الإستشراق والاستعمار في كثير من البلاد الإسلامية بتربية أجيال متعاقبة لا تفقه الإسلام ولا تحفظ من القرآن إلا آيات، كذلك نجح الإستشراق والاستعمار باصطياد العملاء والجواسيس وشراء الذمم للإنجليز أمثال المصلح الباطني **الخطير جمال الدين الأسد آبادي الفارسي.**

حقيقة علاقة الأفغاني الإستشراق ورأي المستشرقين فيه:

التقاء الأفغاني المبكر في بوشهر باليهودي العريق في الإستشراق" **إبراهيم جان المعطر**" ثم تثقيف الأفغاني في الهند الثقافة البرهمية الخاصة وسياحته لمدة عام من الهند إلى مكة سراً، ثم توجه برحلاته الكثيرة إلى أوروبا.

علاقته الوطيدة مع المستشرق البريطاني" و.س.بلنت " حيث يقول في رسالة أرسلها جمال الدين إلى "بلنت": أعرفك بأني لست وحدي الشاكر لجهودك المرموقة التي أجبرت الحكومة " الإنجليزية " على إجلاء قواتها من السودان ،بل أؤكد لك بأن جميع المسلمين، ولا سيما العرب، سيشكرونك على صنعك هذا أبد الدهر، وسينقشون اسمك على لوحات مرصّعة بالأحجار الكريمة وألقاب المجد والشرف لقاء حماسك وشجاعتك[1].

١- علي شلش: الأفغاني ومحمد عبده كتاب الهلال ع ٤٢١ ص ١٥١

أما "بلنت" فإنه يكتب إلى "محمد عبده"، و"جمال الدين الأفغاني" قائلاً: " أما فيما يتعلق بصحيفتكم "العروة الوثقى"فيسعدني أن أبذل كل ما بوسعي لمعاونتكم. ولكني أنصحكم بكل قواي أن تلزموا الاعتدال في لغتكم حين تكتبون عن الحكومة الإنجليزية. لا بمعنى أنَّ أي شيء تقولونه حول تصرفاتها في مصر يمكن أن يتجاوز غضبي ونفاذ صبري- وإنما لأني أرى في صداقة انجلترا خير أمل للإسلام[1].

واعلم أخي القارئ أن بريطانيا هي التي عملت بكل ما في وسعها للقضاء على الخلافة الإسلامية.

لقد أقام "بلنت" علاقة صداقة مع الأفغاني استمرت إلى قبيل وفاته، و كان كثير الرجوع إليه في المسائل السياسية التي تفجرت في عصره[2].

قال السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين: وقعت في يدي خطة أعدها في وزارة الخارجية الإنجليزية مهرج اسمه جمال الدين الأفغاني وانجليزي يدعى "بلنت" قالا فيها بإقصاء الخلافة عن الأتراك[3]. علاقة **الأفغاني** مع "بولنت" المستشرق لبريطاني وأحد جواسيس الإمبراطورية الإنجليزية والذي قام بأدوار هامة في الشرق الأوسط وفي باريس التقى الأفغاني مع بولنت ودعاه "بولنت" لزيارة لندن والتشرف بزيارة جلالة الملكة، فقبل الأفغاني توصيات "بولنت" وسافر إلى لندن معه، وبعد لقاء **الأفغاني** بجلالة الملكة فُتِحت أمامه الأبواب المغلقة.

١- علي شلش: الأفغاني ومحمد عبده كتاب الهلال ع ٤٢١ ص ١٤٩

٢- نفس المرجع ص١٥.

٣- محمد حرب: السلطان عبد الحميد.

وفي لندن انضم إلى محفل الإيمان ولم تكن عضويته ميسورة لغير" اللوردات" و"الأمراء" البريطانيين وهناك نال لقب أستاذ.

واعتبرت بريطانيا الأفغاني بأنه رجل المهمات الخاصة وكلفته بالقضاء على ناصر الدين شاه[1].

آثار الإستشراق في فكره:

تأثر الأفغاني بالمستشرقين من خلال جولات الحوار على صفحات الجرائد الأوروبية بينه وبين"رينان"المستشرق الفرنسي،الشهير وقد **حمِدَ** الشيخ محمد عبده الله على عدم وصول عدد المجلة "دبا" الفرنسية إلى بيروت أثناء إقامته في المنفى، وكان في المجلة رد **جمال الدين** على **"رينان"** لأن المعتقدات الحقيقية لجمال الدين كانت تظهر في أحاديثه الشفوية إلى خواص تلاميذه ومريديه، كما تظهر في كتاباته الموجهة إلى الصفوة ومنهم العرب[2]، وكان رينان قد كتب مقالاً بعنوان الإسلام والعلم في ٣٠ مارس سنة ١٨٨٣م وشنّ حملة على الإسلام بأنه يقف حجر عثرة في طريق العلم.

---

١. مجلة الدستور ع ٣٠٦ ص ٢٤ ، ٢٦

٢. عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية مخطوط ص٢٥١نقلاً عن جمال الدين بين دارسيه ص ١٦٥.

فردّ جمال الدين عليه في مايو ١٨٨٣م أي بعد شهر ونصف. ولكن ردّه ساء كثيراً من المسلمين الموجودين في باريس وقتها فذكر أن جميع الأديان لا تعرف التسامح. ولكل منها طريقته الخاصة في ذلك واعترف أن الإسلام كان حجر عثرة أمام العلم وخلص إلى الرأي أن الصراع لن ينتهي بين الجمود والاجتهاد، أي بين الدين والفلسفة، وسيظل العقل والفلسفة للخاصة، في حين سيظل المثال الديني للعامة[١]. أي أن جمال الدين ورينان متفقان في الرأي، واختلافهم اختلاف في أسلوب التعبير ليس غير وقد عد بعض المسلمين، رد جمال الدين إنه خيانة، حتى أن موظفاً عثمانياً كبيراً مرّ بباريس فصرّح بأن صاحب هذا الرد شخص لم يكن على دين محمد مطلقاً[٢]. كما عدها آخرون أهم المؤشرات الكثيرة، التي تدل على عدم تمسكه بالدين. كما قال بعض كتاب تاريخ حياته. ولا تنس أن "رينان" نفسه يرى أن **جمال الدين من عظماء الملحدين**[٣].

١- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية مخطوط ص ٢٥١ نقلاً عن جمال الدين بين دارسيه ص ١٦٥.

٢- عبد الرحيم أبو علبة: رموز الصحوة الإسلامية.

٣- نفس المرجع.

رأي الأفغاني في الإيمان عند سماع حديث قدسي:

وردت محاورة بين الأفغاني والشيخ "الجنبيهي" صاحب كتاب "بلايا بوزا " كان قد وضعه للرد على طه حسين "في الشعر الجاهلي" ومما جاء فيه حديث قدسي نصّه: " كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني"

قال الجنبيهي: لقد كان في هذا الحديث القدسي مع جمال الدين الأفغاني واقعة كانت سبباً لعدم اتصالي به، مع شديد رغبته ورغبة تلميذه محمد عبده، وتلك الواقعة هي أني سألته عن هذا الحديث، لعلمي أنه ينكر الأحاديث القدسية، لأنه طبيعي لا يعترف بوجود إله وكنا في جمع من الناس، فقال: ليس هذا وقت الكلام على هذا الحديث. فأمهلني لوقت آخر. فاتفق عن طريق الصدفة أني رأيته جالساً وحده في مجالس اللاهين في قهوة من القهاوي المجاورة لمتنزه الأزبكية فجأة وهو واضع طربوشه على ترابيزة القهوة. وجالس وحده فقلت له: هذا هو وقت الكلام على ذلك الحديث الشريف. فما كان جوابه إلا أن قال: ذهب فيلسوف إلى المتنزه في يوم العيد، فوجد الناس على حال مضحك، منهم من هو مخمور، ومنهم من هو لاعب، ومنهم من هو مرافق لامرأة من المومسات، ومنهم من هو رافضي، ومنهم من هو متلبس بما لا يرتضيه أبناء البشر، فنظر ذلك الفيلسوف إلى السماء قائلاً: الآن وقعت الحسرة في قلبك أهؤلاء كلهم عرفوك؟ فعند ذلك تغير حالي وعلمت أن الرجل ضال، فقلت له: إن هذا الفيلسوف لأحمق ومجنون: قال: ولم ذلك؟ قلت لأن من جهل ربّه في الدنيا

يعرفه فيما بعد الموت. ومن جهله في الرّخاء يعرفه في الشدة. فما ذلك الفيلسوف إلا ضائع العقل والدين، ثم تركت الرجل محزوناً، لأن فتنته لم تؤثر في قلبي أثراً كان يريده وكان ذلك الموقف آخر عهدي به[1].

وهذا المشهد يرينا مدى التصاق الأفغاني بالإستشراق ومدى بعده عن الدين.

٣- النظرة إلى النبوة أنها صنعة مكتسبة:[2]

حكى شيخ الإسلام في الدولة العثمانية "حسن أفندي فهمي، عن الأفغاني حين كان في زيارته الأولى للآستانة أنه جعل النبوة صنعة، وسوّى بينها وبين الفلسفة. وفرق بين النبي والفيلسوف، ولكن شدد على أهمية الفيلسوف التي لا تقل في نظره عن أهمية النبي، وقال: إن النبوة تستوحى وتلهم، ولكن الفلسفة تعقل.

١- محمد محمد حسين:الإسلام والحضارة الغربية ص ٨٩

٢- نفس المرجع. ص ٧٥

٤-الرد على الدهريين:

وفيها من الخلط الشيء الكثير، فقد صنّف الدهريين. إلى عشرة أصناف، وعد خلفاء بني عثمان منهم، ووصفهم بالإنحراف، وكان ذلك قبل نجاح الإتحاديين في إرتقاء المرتقى الصعب، وقرن خلفاء الدولة العثمانية بالشيوعيين الذين لم تكن لهم دولة وبالمزدكيين وأتباع فلتيرورسو، وضم إلى ذلك الخونة والمدلسين والمرتشين والمرائين.

رأي المستشرقين في الأفغاني:

١- وصف المستشرق الألماني " كارل بروكلمان " في كتابه "تاريخ الشعوب الإسلامية جمال الدين بأنه الباعث الرئيسي الأول للروح العصرية في الإسلام واعتبره رائد حركة التجديد الديني.

٢- تحدث المستشرق " بلنت" في الفصل الخامس من كتابه " التاريخ السري" عن زعماء الإصلاح في الأزهر وعما سماه "الإصلاح الديني الحر" الذي أرجعه إلى جمال الدين الأفغاني ووصف صنع جمال الدين في " إطلاق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية "

٣- قال المستشرق " تشارلز آدمز " في كتابه " الإسلام والتجديد في مصر " لم ينشأ الدافع الأول إلى حركة الإصلاح في مصر نفسها بل كان صدى لتعاليم جمال الدين الأفغاني وأثراً من آثاره و كان مؤمناً بفكرة الجامعة الإسلامية.

وهو المدافع القوي الشكيمة عن الإصلاح الشامل في الإسلام كما كان العامل الجوهري الأول في إحياء حركة التجديد بمصر.

٤- وقال المستشرق "لو ثروب": إن الأفغاني أفنى حياته في دعوة العالم الإسلامي للإتحاد والوقوف على أسباب تفوق الغرب وقدرتهم وكان كالغيث أصاب تربة جدباء فهو الموقظ الكبير للشرق وكل نفخة نفخها في المسلمين كانت على صفة زوبعة وأن الأحداث أكدت صدق ما أذاعه الأفغاني الحكيم العظيم.

٥- أما المستشرق المجري "جولدتسيهر" شيخ المستشرقين ورئيس مؤتمرهم فقد كتب ترجمة للأفغاني في دائرة المعارف الإسلامية جاء فيها:

"مما لا مشاحة فيه أن السيد جمال الدين الأفغاني هو الموقظ الأعظم للشرق وأن طريقته ستزداد انتشاراً ومبادئه ستطبق في يوم من الأيام وأن على الشرقيين أن يحرصوا على اكتشاف أقل شيء يعزى إلى هذا العظيم من عظمائهم سيبلغونهم الأمر ما بلغ إليه الغرب من الحرص على آثار العظماء ولكن الشرق هو الشرق.

وقال المستشرق "برنارد ميشيل" إبّان ذهب الأفغاني كان يترك وراء ثورة تغلي مراجلها ولسنا نعدو الحق إذا قررنا أن جميع الحركات الوطنية الحرة وحركات الانتقاض على المشاريع الأوروبية التي تشاهدها في الشرق ترد أصولها المباشرة إلى دعوته.

وكتب المستشرق الكندي ماك لوري في كتابه" حركات التنوير في الشرق" كانت أقوى مشاعل حركة التنوير القومي والفكري في الشرق هي التي حملها جمال الدين الأفغاني الذي تخرج على يديه وفي مجالسه الكثيرون من أبناء مصر والبلاد العربية[1].

إن الكلمات الحرية و الأحرار أو أحرار الفكر التي وردت في رثاء المستشرقين للأفغاني يراد بها إطلاق الفكر من كل قيد، ومن العقائد الدينية على وجه الخصوص.

تلك نماذج موجزة من مواقف المستشرقين في معرض رثائهم له وتقويمهم لنتاجه وهي تبرز مدى إحساسهم بالفجيعة لفقد هذا الجاسوس الإنجليزي.

١- موفق بني مرجة: صحوة الرجل المريض ٣٤٦ -٣٤٧

الخاتمة:

إن الإهتمام بالأفغاني يستند إلى اعتبارين: أولهما أن الصورة الشائعة المعروفة عنه بين الناس تخالف حقيقته. وهذه الصورة الشائعة تستمد وجودها وقوتها من الدعاية الدائبة التي لا تفتر، والتي تسهر عليها قوى ومؤسسات قادرة ذات نفوذ، ولذلك كان الكشف عن حقيقته محتاجاً إلى مجهود كبير، وإلى مزيد من الدأب يقابل دأب الدعاية المبذولة في تدعيم مكانة. وثاني هذين الإعتبارين هو أن جلاء حقيقة الرجل يتبعه جلاء حقيقة كثير من الأوهام التي تأصلت في نفوس الناس تبعاً لإستقرار شهرته فيها، فكشف الستر عنه هو في الوقت نفسه كشف للستر عن أباطيل كثيرة ترتبط به وتستمد قوتها و بريقها الخداع من شهرته ومن ارتباطه بها.

إن الدارس المدقق لسيرة الأفغاني لا يملك إلا أن يتوقف أمام كثير من الظواهر الغريبة في سيرته. فيم تنقله السريع المفاجئ الذي لا يفتر، بين إيران وبلاد الأفغان والهند والحجاز ومصر وتركيا وفرنسا والنمسا، وانجلترا وروسيا؟ وفيم هذه الأزياء المختلفة التي كان يلبسها لكل بلد والتي يحفل بصورها كتاب ابن أخته ميرزا لطف الله خان؟ وفيم كانت صلته بالمستر" بلنت" ذلك الرجل الغريب الذي كان لا يفتر عن التنقل بين مضارب الأعراب في مصر وسورية وفي نجد ؟ يدعو العرب إلى إنشاء دولة عربية لأن الدولة العثمانية على وشك السقوط، لذا يجب أن يكونوا دولة عربية حليفة لإنجلترا.

باسم من كان الأفغاني يفاوض الإنجليز في الوصول إلى اتفاق مع تركيا ضد روسيا؟ ومع المهدي للاعتراف باستقلال السودان؟ وما هذا الخليط من اليهود و النصارى الذي يجتمع حول الرجل الذي كان صوته أعلى الأصوات في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية.

لذا يجب التنبيه إلى أنه كان ذا أهداف خطيرة، تذكرنا بأهداف الباطنية وأساليبهم، وهو أول من قام بإنشاء الدعوات السرية في المجتمعات الإسلامية الحديثة، وتشريع الاغتيال وسيلة لتحقيق أهدافها وتصعيد الدعوة إلى الحرية، وهي دعوة تشمل الحرية والتحرر بكل معانيها السياسية ولفكرية والاجتماعية، وبكل ما تشملان عليه من روح التمرد والانطلاق التي يأبى كل قيد ويرفض كل موروث، ولو كان قيد الدين وميراثه وتقاليده.

وذلك كله بالإضافة إلى سعيه لإفساد العقيدة الإسلامية واستعانته بأعداء الإسلام على تحقيق أهدافه. الأقوال السابقة لا تدعو إلى الاطمئنان لظاهر أمر الأفغاني، وتدعو إلى التنقيب عما وراء هذا الظاهر، لذا يجب إعادة النظر في أمره. ونحن في هذا الزمن الصعب المحير نحتاج فعلاً إلى غربلة تراثنا الفكري والسياسي القريب والبعيد

بما يؤدي إلى تجاوز نقاط الضعف والخطأ والسطحية، وامتلاك نقاط القوة والبدايات السليمة القادرة على الاستمرار دون تراجعات باهظة، هذا كله وارد ولا غبار عليه.

لقد كان الأفغاني بواسطة الجمعيات السرية التي أسسها مثل جمعية مصر الفتاة، وأنشأ صحيفة تنطق باسمها هي صحيفة "مصر الفتاة " ولم يكن فيها مصري واحد، وكان أغلب أعضائها من شبان اليهود، وأنشأ أثناء إقامته في الهند جمعية " العروة الوثقى "السرية تسبح بحمده وتشيد بذكره، يمارس كثيراً من المؤامرات والدسائس والاغتيالات ويضع المخططات الجهنمية لمحو الإسلام تحت اسم التجديد التحديث والإصلاح والتطوير.

إننا في الحقيقة في أشد الحاجة إلى إعادة النظر في تقويم الرجال، لأن كثيراً ممن يعتبرهم الناس دعائم النهضة الحديثة أمثال: الأفغاني، محمد عبده، محمد رشيد رضا، سعد زغلول، لطفي السيد، طه حسين، أحمد أمين، علي عبد الرازق، قاسم أمين، ليسوا في الحقيقة إلا معاول هدم وإن الشهرة التي اكتسبوها ليست من جنبهم وإنما هي من القوى الخفية التي استخدمتهم وروجت بأقلامهم وألسنتهم ما شاءت من المذاهب والأفكار.

عندما ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال، لا نريد أن ننقص من قدر أحد.

ولكننا لا نريد أن يقوم في مجتمعنا أصنام جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ. وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد.

وأخيراً فإن جمال الدين الأفغاني كان حريصاً على الدعوة إلى تجاوز الخلافات المذهبية وإعلاء شأن العقل في فهم الإسلام.

ثبت المراجع:

- أحمد الله كريمي:جمال الدين أسد آبادي.
- إسماعيل رائين: الماسونية في إيران.
- بلنت: التاريخ السري.
- ثابت المدبحي: الرجل الإعصار جمال الدين
- جواد رفعت أتلخان: الأفغاني
- جورجي زيدان:الأفغاني
- حسين عمر حماده: شهادات ماسونية
- خير الدين الزركلي: الأعلام
- سيف الدين البستاني: أوقفوا هذا السرطان
- شاهين مكاريوس:الأسرار الخفية في الجمعيات الماسونية
- صابر طعيمة: الماسونية ذلك العالم المجهول
- عبد الرحمن حبنكه: أجنحة المكر الثلاثة (الإستعمار، الإستشراق، التبشير).
- عبد الحسين الهمداني: سيد جمال الدين الأفغاني كما أراه.
- عبد الرحيم أبو علبه: رموز الصحوة الإسلامية مخطوط.

عبد النعيم محمد حسنين: جمال الدين الأسد آبادي حقيقة جمال الدين.

- علي محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط.
- علي شلش: الأفغاني ومحمد عبده، و.س.بلنت.
- عمر فاروق يلماز: السلطان عبد الحميد ترجمة طارق عبد الجليل.
- لطف الله الجمالي: المقالات الجمالية.
- لويس شيخو اليسوعي: السر المصون في شيعة الفرنسون.
- محمد أحمد ذياب: المخططات الماسونية العالمية.
- محمد حرب: السلطان عبد الحميد.
- محمد حسن خان: روزنامة خاطرات.
- محمد المخزومي: خاطرات جمال الدين.
- محمد رشيد رضا: تاريخ الأستاذ الإمام.
- محمد سرور بن نايف: دراسات في السيرة النبوية.
- محمد علي الزعبي: الماسونية منشئة ملك إسرائيل.
- محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية الاتجاهات الوطنية.
- محمود عبد الحكيم عثمان: اليهود والحركات والمذاهب الهدامة في العصر الحديث.
- محمود قاسم: جمال الدين الأفغاني.
- محسن عبد الحميد: جمال الدين المصلح المفترى عليه.

- مرتضى مدرسي: حياة وأفكار جمال الدين أسد آبادي.
- مصطفى فوزي: دعوة جمال الدين في ميزان الإسلام.
- ملكم خان : وثائق وتقارير عن جمال الدين.
- موفق بني مرجة: صحوة الرجل المريض.
- ميرزا لطف الله خان: حقيقة جمال الدين.
- هاني عبد الوهاب المرعشلي: جمال الدين وقضايا المجتمع.
- يوسف الحاج: هيكل سليمان.
- يوسف حسين: أسباب خلع السلطان عبد الحميد.

المجلات

- مجلة التضامن: ع ٢، ٦، ٨ تاريخ ٦١٤/٥١٢١/٥١٢١/٤١٢٣ - ١٩٨٣
- مجلة المجلة: ع ٢٢٦/ ١٠ ١٦ رمضان حزيران / ١٩٨٤
- مجلة الدستور: ع ٣٠٧\٣٠٦\٣٠٥ - ١٩٨٣
- مجلة الدوحة: يوليو ١٩٨٤/ أغسطس ١٩٨٤/ سبتمبر ١٩٨٤

الفهـرس

المواضيع	أرقام الصفحات
المقدمة	١-١٦
جمال الدين الأسد بادي المعروف بالأفغاني	١٨-٢٥
جمال الدين الأفغاني في مواقع الشيعة وحقيقة علاقته بالباطنية	٢٧-٣١
مذهب الشيخية	٣١-٣٢
البابية والبهائية	٣٣-٣٤
مساعدة زنديق	٣٤
المنبوذ	٣٥- ٧٠
ماهية الماسونية والتعريف بها	٧٢-٧٩
حقيقة علاقة جمال الدين الأفغاني بالماسونية والإنجليز	٨٠- ١٠٧
مصادر البحث عن ماسونية الأفغاني	١٠٨
الإستشراق	١١٠-١١٢
الإستشراق وأجهزة المخابرات الغربية	١١٢-١١٥
حقيقة علاقة الأفغاني بالإستشراق ورأي المستشرقين فيه	١١٥-١١٧
آثار الإستشراق في فكره	١١٧-١١٩
رأي المستشرقين في الأفغاني	١٢١-١٢٣
الخاتمة	١٢٤-١٢٦
ثبت المراجع	١٢٧-١٢٩